الروامح 3

(سلسلة من الخيال العلمي)

ذات الترددات السوداء

محمد قرط الجزمي

E-KUTUB

محمد قرط الجزمي
ذات الترددات السوداء

(الرَّوامح)
3

ذات الترددات السوداء

محمد قرط الجزمي

إصدارات إي-كتب
لندن، تشرين الثاني 2015

That has Black Frequency
By: **Mohammad Qarat Al-Jezmi**
Copyright E-kutub Ltd 2011
Published by E-Kutub.com
ISBN: 9781780581781
* * * * *

الطبعة الأولى، لندن- اغسطس 2015
المؤلف: **محمد قرط الجزمي**
الناشر: E-kutub Ltd، شركة بريطانية مسجلة في انجلترا برقم: 7513024
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.
لا تجوز إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب ألكترونيا أو على ورق. كما لا يجوز الاقتباس من دون الإشارة الى المصدر.
أي محاولة للنسخ أو إعادة النشر تعرض صاحبها الى المسؤولية القانونية.
إذا عثرت على نسخة عبر أي وسيلة اخرى غير موقع الناشر (إي- كتب) أو غوغل بوكس، نرجو اشعارنا بوجود نسخة غير مشروعة بالكتابة الينا:
ekutub.info@gmail.com
يمكنك الكتابة الى المؤلف على العنوان التالي:
maqarat@hotmail.com

عزيزي القارئ..

بين يديك الآن العدد الثالث من سلسلة ‹‹الروامح››..

صدر العدد الأول في الدار العربية للعلوم - بيروت عام 2014م بعنوان ‹إنسالات متمردة›، ويتم استكمال السلسلة بإذن الله تعالى، ابتداءً من العدد الثاني، لدى "e-Kutub" الناشر الإلكتروني العربي الأول.

الرَّوامح

مع مرور الزمن وتعاقب العقود والأجيال، تزداد الاكتشافات وتكثر الاختراعات ويتطور العلم وينتشر..

ومع هذا التطور الحاصل، يصبح بإمكان الكثيرين تخطِّي ذلك الحاجز الفاصل بين العلم كتطورٍ وتحضُّرٍ يسعى إلى الرُّقي والتقدم الإنساني، وبينه كمرضٍ نفسيٍّ مجنونٍ يسعى إلى نشر الفساد والمبادئ الهدَّامة.

تدور أحداث هذه السلسلة على أرض المستقبل، وبالتحديد في النصف الثاني من القرن الحادي والعشرين، حيث مدينة (آفاق) العجيبة، الكامنة تحت أعماق بحر الخليج العربي، بتكاتفٍ من مجلس التعاون لدول الخليج العربي..

هذه المدينة تضمُّ مركزاً علميًّا متطوراً، فيه مجموعة فريدة من العلماء والخبراء الجهابذة، المتخصصين في مجالات مختلفة من العلوم، إلى جانب مجموعة فريدة من الأفراد المخلصين، الذين يبذلون أرواحهم ذاتها في سبيل الرقي بالعلم، وبلوغ الهدف الجليل من هذه الوحدة الخليجية العلمية الفريدة من نوعها.

ومن بين أولئك الأفراد المخلصين، نجد فريقاً علميًّا متميزاً، يقوده رجلُ أمنٍ نبيهٍ، ذو عبقرية فذَّة، هو (هاشم خطَّار)..

الفريق يستخدم العلمَ رمحاً يحارب به الشر والجهل والجنون، ويقاتل به أعتى الأعداء..

إنه فريق (الرَّوامِح).

المؤلف

1. المدينة السوداء

انتصف الليل..

وحينما ينتصف الليل ينتصف معه كل شيء..

العينان تنتصفان، الرؤية تنتصف، الإدراك ينتصف.. التفكير والإحساس والوعي بكليته ينتصف.. النشاط والهمَّة ينتصفان، فشتَّان ما بين نشاطك في النهار ونشاطك بعد منتصف الليل..

حتى ظهرك يكاد ينتصف وأنت تنهض من كرسيك في معملك، تتمطى، ثم تمشي بنصف خطوات تغادر عملك..

لقد آن لك أن ترتاح!

أنت مجبر على رفع كفك كي تسمح لجهاز المسح أن يأخذ بصماتك، ثم تتطلع إلى كاميرا الباب التي تتأكد من شخصيتك.. ينفتح الباب وتمشي بنصف سرعتك المعهودة، تتجه إلى خارج معملك في مبنى مركز آفاق العلمي..

‹‹صباح الخير دكتور سعيد، كيف حالك؟››

يحادثك بواب كراج السيارات، لكن نصف وعيك لا يسمح لك أن تبادله التحية.. خاصة وأنه يصبّح عليك..

أنت تكره هذه العادة المقيتة التي يقلِّد فيها العرب عادات الغرب في اعتبار ما بعد منتصف الليل أنه صباح.. متى نتعلم أن (Morning) التي نترجمها إلى (صباح) لا تعني صباحاً في الحقيقة.. عن أي صباح يتحدثون والسماء ما زالت متسربلة بالسواد؟

تتجاهله.. نصف كيانك ليس مهيأ لأي حوار تتبادله..

تذهب إلى سيارتك، تفتح بابها، تدلفها، تتطلع إلى المرآة الوسطى، ويطالعك ذلك القرد الأسود الجالس في المقعد

الخلفي..
تتعرف عليك سيارتك، فيبدأ المحرك تلقائيا بالدوران..
تحاول التركيز أمامك، تدعك عينيك، وتبدأ بالضغط على دواسة الوقود.. السيارة تتحرك، و...
مهلاً.. هل قلنا أن هناك قرد أسود في المقعد الخلفي لسيارتك؟
تُوقف سيارتك فجأة، وتتطلع إلى المرآة الوسطى من جديد.. هناك قرد بالفعل.. قرد أسود..
هنا ننسى كل شيء عن انتصاف الأشياء.. عيناك متسعتان عن آخرهما، رؤيتك ثاقبة، إدراكك عالٍ.. تفكيرك، إحساسك، وعيك في كامل حيويتها..
نشاطك وهمتك في القمة..
قرد في سيارتك؟!
كمن لسعته عقرب، تطير من مقعد سيارتك إلى خارجها، ترتجف بعنف وقلبك لم يعد ينبض نصف نبضاته كما كان قبل قليل..
تخلو مدينة آفاق من الحيوانات، فمن أين جاء هذا القرد الأسود إذن؟
أنت خائف، يُهرع إليك بواب كراج السيارات يسألك:
ـ ‹‹ماذا هناك يا دكتور؟ ماذا جرى لك؟››
تشير إلى سيارتك، وتقول بصوت مرتجف:
ـ ‹‹قرد.. هناك قرد في سيارتي.. قرد أسود››
يتفحص البواب سيارتك، ولكن لا قرود..
‹‹يبدو أن إرهاق العمل قد أثر على عقلك يا دكتور.. أنت تشعر بالنعاس، أنت متعب وبحاجة ملحة إلى النوم.. من أين يمكن لقرد أن يأتي إلى هنا؟››
هذا الأحمق يهينك ويتهم عقلك..

أنت عجوز بالفعل، ولكن ليس إلى هذه الدرجة..
تدفعه جانباً، وتبدأ في البحث في سيارتك..
لا شيء.. أين اختفى ذلك القرد الأسود اللعين؟!
إن أول ما يتبادر إلى ذهنك هو الجن.
هل من تفسير آخر؟

❋❋❋

الصباح.. ما أجمل الصباح!
اشتاقت الدكتورة دلال إلى رؤية الشمس الحقيقية، بدلاً من هذه الصناعية التي تبزغ فوقهم كل صباح لتوقظهم وتنبئهم أن وقت النشاط قد حان في هذه المدينة القابعة تحت أعماق الخليج العربي..
لكن مع ذلك، يظل الجو جميلاً في آفاق وقت شروق هذه الشمس الصناعية.. إن تقنية التلاعب بالجو قد بلغت من الدقة مبلغاً مبهراً بالفعل..
ما أجمل التقنية! لقد أحبت دلال العلم والتقنية مذ كانت صغيرة، وها هي الآن تعمل في أكبر مدينة علمية تقنية في الخليج العربي.
كانت سعيدة جدًّا في حياتها، مهامها محصورة في البحث في الكائنات الحية المتواجدة في بحر الخليج، وهو ما يجعل الحياة بالنسبة لها أكثر بهجة يوماً بعد يوم..
كم تعشق الأحياء، وتعشق سبر أغوار تلك الكائنات العجيبة القابعة تحت البحار!
‹‹لقد وصلت العينة دكتورة دلال››
أدخل العامل أسود البشرة محفَّة طبية، استقرَّت فوقها جثةٌ

لكائنٍ ما، وقد وُضع عليها اللحاف.

في الليل عثروا على هذا الكائن، وبحسب التقارير التي قرأتها منذ ساعة، كانت سمكة غريبة، يبلغ طولها ثلاثة أمتار، لكنها تحمل وجهاً أقرب ما يكون إلى خروفٍ يحمل فوق رأسه قرنين سوداوين عجيبين..

أي سمكة هذه؟

خرج العامل الأسود من المعمل، وبقيت وحدها مع الكائن العجيب، لم تجسر على رفع اللحاف عنه.

شيء من الرهبة سرى في كيانها!

بعد قليل سيحضر زملاؤها، سيقومون معاً بفحص العينة، فلماذا الاستعجال؟

لكن رغم الرهبة، كان هناك فضول قوي يدفعها إلى استراق النظر في ذلك الكائن العجيب الذي يرقد تحت اللحاف أمامها.. لماذا لا تلقي نظرة خاطفة عليه؟

وبعد صراع قصير بين رهبتها وبين فضولها، قررت أن الفضول أقوى؛ لذلك اقتربت من المحفَّة، ورفعت بأصابع مرتجفة اللحاف تتطلع إلى السمكة العجيبة..

شعرت بصاعقة من الذعر تجتاح جسدها.. ارتعشت في خوف، وخفق قلبها بعنف، وأطلقت صرخة بالكاد كتمتها بيديها..

لم تكن السمكة، ولا وجه الخروف هو ما أثار ذعرها.. بل ذلك اللون العجيب لذلك الكائن الخرافي.. اللون الأسود المخيف..

كان أسود اللون تماماً!

تراجعت إلى الخلف مذعورة، وأغمضت عينيها تحاول ألاَّ ترى هذا الوحش، لكن صورته كانت قد ارتسمت في مخيلتها، فلم تستطع ألاَّ تراه؛ حتى وهي مغمضة العينين.

أسرعت تعود إلى المحفَّة في هيستريا، وجذبت اللحاف تضعه على الجسد المخيف، تمنع نفسها من رؤيته نهائياً، ثم أسرعت تخرج من المعمل وهي تتنفس بقوة وسرعة.

وصل الزملاء أخيراً.. حمداً لله.

‹‹ما بالك دكتورة دلال؟ لا تبدين على ما يرام››

سألها زميلها الدكتور أسعد، فأجابته وهي تشير إلى المعمل:

ـ ‹‹العينة الجديدة.. لقد وصلت.. إنها مخيفة جدًّا››

تطلع الدكتور أسعد إلى بقية الزملاء في حيرة، قبل أن يتساءل:

ـ ‹‹عفواً دكتورة، لم تردنا اليوم أي عينات››

هتفت في عصبية:

ـ ‹‹بل وصلتنا عينة.. استلمت التقرير من ساعة تقريباً، فيها وصف لكائن يحمل جسم سمكة ووجه خروف.. العينة في الداخل، وقد استلمتها بالفعل››

قال الدكتور أسعد في حزم:

ـ ‹‹أنا المسؤول عن وصول العينات وتسليمها.. لم تردنا أي عينات اليوم يا دكتورة دلال››

قالها ودخل المعمل، ولحق به زملاؤه.. وعلى إثرهم دخلت الدكتورة دلال مترددة خائفة..

يا إلهي! أين المحفة؟ أين اللحاف؟ أين الكائن الأسود اللعين؟!

التفت إليها الدكتور أسعد وقال:

ـ ‹‹عن أي عينة تتحدثين يا دكتورة؟ لا يوجد شيء هنا.. لم نقم باستلام أي عينة، ولم نرسل أي تقرير، ولم يخرج عامل من المعمل الكبير إلى هنا منذ الأمس››

شعرت الدكتورة دلال بالدوار، ولاح في رأسها منظر ذلك العامل الذي سلمها العينة.. كان أسود البشرة بشكل ملفت

للانتباه..
غامت الدنيا أمام عينها، وفقدت وعيها.

❋❋❋

كانت حفلة صاخبة!
الأطفال يمرحون ويلعبون، وصوت الأغاني يملأ المنزل بصخب مزعج..
أم صباح على الرغم من فرحتها بابنتها، وبأن هذا هو عيد ميلادها الخامس المنتظر، لكنها بالمقابل قد طفح كيلها مع هذا الإزعاج الذي لا يبدو أنه ينوي أن يهدأ أبداً في منزلها.. الجيران بدأوا ينزعجون، لكنها لا تملك أن تمنع ضيوفها من الاحتفال بهذا القدر الصاخب المزعج.
هي حيية، وهم لا يقدِّرون حياءها، ولا يعتبرون حرمة المنزل الذي هم فيه..
نحن نعيش في منتصف القرن الحادي والعشرين الآن، وما زال البشر لا يعرفون معنى التحضر.. متى سنتحضر إذن؟
أولادكم يعبثون هنا وهناك في منازلنا، وأنتم تضحكون في متعة لهذا المظهر، دون حتى كلمة ‹كفى› تقولونها لهم.. لو أن هذا الأمر يحدث في منازلكم، لكانت ردة فعلكم مغايرة حتماً، لكن لأنه ليس منزلكم، الأمر هيّن عليكم..
لكن ماذا عنا نحن؟ هل ذنبنا أننا دعوناكم لنحتفل معاً بعيد ميلاد ابنتنا؟ تفعلون بنا هذا؟
ارحمونا يا غجر!
لكن ابنتها صباح مستمتعة بهذه الحفلة.. كيف يمكن لأمها أن تثير جدلاً أو نقاشاً، أو حتى حرباً من شأنه أن يجرح سعادة طفلتها الوحيدة؟

لتمضِ الليلة على خير يا رب!

تجاوزت الساعة منتصف الليل، وأخيراً قرر الصخب أن يهدأ قليلاً، وأن يستيقظ الهدوء من نومه الذي طال.. بدأ الضيوف في مغادرة المنزل، وعم الهدوء كل الأركان، إلاَّ من صباح التي...

‹‹أريد أن أفتح الهدايا››

كان رأس أمها يكاد ينفجر من شدة ما عانت في هذه الليلة..

‹‹لنفتح الهدايا في الغد يا حبيبتي، لقد انتصف الليل، وآن لنا أن نأوي إلى الفراش››

لكن عناد الطفلة كان أحدَّ من سيف رجاء الأم.. بكاؤها أقوى على قلب الأم المتعب من ذلك الصخب الذي بالكاد انتهى منذ لحظات..

‹‹حسناً حسناً، سنفتح هدية واحدة تقر بها عينك، ثم ننام.. في الصباح سنلهو أنا وأنت ببقية الهدايا.. اتفقنا؟››

على مضض وافقت صباح، واختارت صندوقاً كبيراً أسود اللون ليتم فتحه.

وضعت الأم الصندوق أمام طفلتها وهي تتساءل عن الأحمق عديم الذوق الذي يُرسل هديةَ عيدِ ميلادٍ في صندوق أسود اللون..

لكنها ابتسمت لابنتها..

‹‹افتحي أنت الصندوق، ولنرَ ما يحوي داخله››

في حماس بريء، أسرعت الطفلة تفتح الصندوق، ابتسامتها واسعة، وعيناها متألقتان من شدة الحماس، ووجهها منير كأنه القمر..

ما أجمل هذه الطفلة الرائعة! ما أسعد حظها أنها أمُّ هذه البراءة الملائكية!

فتحت الطفلة الصندوق الكبير، فإذا به فارغ إلاَّ من بالونة صغيرة.. كل هذا الحجم الكبير لصندوق ثقيل، ثم هو لا يحوي إلاَّ على هذه البالونة الصغيرة؟ بالونة سوداء لا نقوش فيها ولا رسوم يمكن أن تبث البهجة في نفس هذه الطفلة؟

انزعجت الأم كثيراً.. أي ضيفة ثقيلة الظل هذه، التي تبخل أن تشتري شيئاً ذا قيمة لطفلة في عمر الزهور كطفلتها؟

لكن صباح كان لها رأي مختلف.. كانت سعيدة جدًّا بالهدية إلى حدٍّ تعجبت منه الأم..

صباح تملك من الهدايا الكثير في دولابها.. كيف بها تسعد لهذه الهدية البسيطة؟

هل قلتُ بسيطة، كلا، بل هي هدية تافهة!

لكن لم لا؟.. صباح لم تقتنِ في حياتها بالونة أبداً.. دولابها مليء بالألعاب العالمية التي لم يحظ بها إلاَّ القليل من الأطفال، ولكنها لم تحظ في حياتها قط على بالونة..

من الطبيعي أن تشد هذه البالونة انتباه صباح وتسعدها إلى أقصى حد!

ابتسمت الأم لابتسامة ابنتها..

‹‹انفخيها لي يا أمي››

‹‹في الغد.. سننام الآن وفي الغد سنقوم بنفخها وفتحِ جميع الهدايا.. إلى النوم الآن، هيا يا صغيرة››

استاءت الطفلة، لكنها رضخت لأمها، وآوت إلى سريرها.

قبلتها أمها على جبينها..

‹‹تصبحين على خير يا ملاكي الجميل››

‹‹وأنت من أهله يا أمي››

قللت الأم من إضاءة الغرفة، ثم ذهبت لتنام في غرفتها، أما الطفلة المشاكسة فلم تنم، نهضت من سريرها في لهفة، وأسرعت إلى بالونتها وهي في منتهى حماستها..

‹‹سأنفخك بنفسي.. سأجعل منك أكبر بالونة في الدنيا››
قالتها، وبدأت تنفخ البالونة..
تنفخ..
تنفخ..
تنفخ..
كانت بالونة مرنة، تستجيب لنفخ الطفلة الصغيرة.. كبرت وكبرت، حتى ملأت معظم أرجاء الغرفة، والطفلة البريئة ما زالت تنفخ وتنفخ، والسعادة قد تملكتها تماماً، قبل أن...
فجأة، انفجرت البالونة..
شعرت الطفلة بالذعر، وهي ترى بالونتها تنفجر في وجهها بصوت مدوٍّ.. انطلق بكاؤها عالياً، ثم لم تلبث أن سكتت وهي تتطلع إلى ما يحصل أمامها..
البالونة السوداء الممزقة، ما الذي تفعله؟
إنها تتحرك من تلقاء نفسها، إنها تتجمع، إنها تلتحم، إنها تقف على.. على أقدامها..
دقائق وتحولت البالونة إلى أخطبوط أسود اللون، وقف على سرير الطفلة، يتطلع إليها في سكون.
بكت الطفلة المسكينة من جديد، وانطلقت تحاول الخروج من غرفتها، والذعر يأكل من ملامحها براءةً تلو براءة.. لكن باب الغرفة أبى أن يستجيب لها.. ازداد ذعر الطفلة وهي تصرخ بصوت يكاد يجرح لها حنجرتها الغض، تنادي أمها، والأم في الخارج تحاول عبثاً أن تفتح الباب، وهي تصرخ ملتاعة:
- ‹‹صباح، صباح.. ماذا يجري يا صباح؟.. افتحي الباب.. من أغلق الباب؟.. افتحي الباب يا صباح››
لكن صباح لم تكن تملك شيئاً أكثر من الصراخ والعويل، وعلى السرير كان الأخطبوط الأسود يتطلع إلى كل ذلك في

هدوء.. هدوء أسود مخيف.

❋❋❋

‹‹أيام سوداء››

نطقها مدير مركز آفاق العلمي وهو يطالع التقارير التي وردت إليه..

ما سر تلك الهالة السوداء التي بدأت تحيط مدينة آفاق مؤخراً.. كلاب وأفاعي وقردة وحيوانات تظهر هنا وهناك، داخل المركز تارة، وتارة خارجها.. في الأسواق طوراً، وطوراً في المنازل..

ليس في مدينة آفاق حيوانات، فمن أين أتت هذه الحيوانات والمخلوقات الغريبة يا ترى؟

الأعجب من ذلك أنها كلها ذات لون أسود.. ظاهرةٌ سوداء عجيبة، لكن الجميع يؤكدها.. الكثير من العاملين في مدينة آفاق شاهدها، كل فرد رأى حيواناً أو مخلوقاً ما، والكل يؤكد حقيقة ما رأى.

بدأ مدير مركز آفاق العلمي يمسح من جبينه عرقاً وهميًّا وهو يستجمع ذاكرته إلى فترة سنتين مضت..

‹‹الركن الأسود››

قالها، ثم هزَّ رأسه نفياً..

ولكن لم لا؟

لم يستطع حسم الأمر، غير أن كل ما يجري يدل على أن ما استنتجه صحيح..

هو الركن الأسود ولا شيء سواه!

سمع فجأة صوتاً خلفه، صوت خرمشة مريبة.. نهض من مقعده متأهباً، فتطلع إلى ما خلفه..

هناك فأر.. فأر أسود!

هل بلغ الأمر إلى أن يلجوا مكتب مدير مركز آفاق العلمي نفسه؟!

الوضع بلغ حدًّا لا يمكن السكوت عنه مطلقاً.

أسرع المدير يحمل أداة ثقيلة من على الطاولة، ورمى بها على الفأر، الذي أسرع يختبئ داخل درج من أدراج المكتب..

فتح المدير الدرج وهو يهتف في عصبية:

- ‹‹إلى أين تظن نفسك ذاهباً أيها الفأر القذر؟ أنت في قبضتي››

لكن الدرج - رغم كونه بدون مخرج آخر - كان فارغاً..

فارغا تماماً.

تطلع المدير برهة إلى الفراغ في حيرة، قبل أن يعقد حاجبيه، ويقول يخاطب نفسه:

- ‹‹هو (الركن الأسود).. لا يوجد تفسير آخر.. لقد عادت الجن تعبث في المدينة من جديد››.

❋❋❋

2. قط أسود

نفس الضباب الوردي العجيب..

سطع البرق وقصف الرعد في تزامن واحد، وتلفتت عنادل حولها متشوقة إلى صوت إنعام، الذي بالفعل لم يخيب رجاءها..

‹‹عنادل.. أنا هنا ثانية››

خفق قلب عنادل في مزيج من الشوق والحرقة والحنين..

‹‹اشتقت إليك كثيراً يا إنعام.. متى تستفيقين من غيبوبتك؟ أخبريني بكل شيء عنك.. قولي لي ما الذي جرى لك هناك في جبل (فوجي).. أعلميني كيف يمكننا استعادتك من جديد››

كان الضباب كثيفاً، منعها من رؤية صديقتها، لكن الصوت كان واضحاً تماماً..

‹‹الأمر ليس بهذه السهولة يا عزيزتي.. المستقبل يحمل الكثير فدعينا لا نلتفت إلى الماضي في هذه اللحظة››

لم تفهم عنادل عبارة صديقتها..

‹‹ليذهب المستقبل إلى الجحيم.. أنا أريدك أنت، أريد استعادتك.. ألا تعلمين مدى شوقي وحبي لك يا إنعام؟››

لكن إنعام بدت شاردة عن هذه المشاعر التي ينتفض لها جسد عنادل..

‹‹القط الأسود››

القط الأسود؟

‹‹لم أفهم.. عن أي قط أسود تتحدثين يا إنعام؟››

قصف البرق، وتزامن معه هزيم الرعد من جديد، إشارة إلى أن التواصل في طريقه إلى الانقطاع..

‹‹هناك قط أسود.. لا تتجاهلوه››

كان الصوت يخفت شيئاً فشيئاً..
‹‹إنعام.. لا ترحلي.. فسِّري لي على الأقل››
لكن الصوت ازداد خفوتاً أكثر فأكثر..
‹‹القط الأسود.. القط الأسود.. إنه حولكم.. إنه بينكم››
بلغت عنادل مبلغها من العصبية..
‹‹انتظري.. أنت لا تفسرين شيئاً.. أنت لا تقولين شيئاً.. إنعام.. كيف تعرفين أموراً نجهلها وأنت في غيبوبتك؟››
رغم خفوت الصوت، لكن عنادل تمكنت من التقاطه بعيداً..
‹‹أنا لستُ مثلكم.. أنا لستُ كما تتصورون.. أنا لستُ...››
وانقطع الصوت تماماً..
رحلت إنعام، واستيقظت عنادل من نومها تشعر ببرد قارس جعلها ترتجف..
ضمت ساقيها إلى صدرها، ودفنت وجهها بين ركبتيها، وأجهشت بالبكاء.

❋❋❋

‹‹مدير المركز رفض››
كان منظر البحر جميلاً جدًّا، و هاشم مع جعفر يتطلعان إليه على حافة مدينة آفاق عبر القبة الزجاجية الحامية.. الهالة الضوئية المحيطة بالقبة تتيح لهما رؤية جزء من مساحة المنطقة المظلمة المحيطة بها.. هناك تلك السلحفاة التي تلامس زجاج القبة وكأنها تستكشف ماهيتها في فضول..
لكن جعفر بدا شارداً عن هذا المنظر الجميل وهو يتساءل:
ـ ‹‹ما معنى أن يرفض مدير المركز انضمام سديم إلى فريق الروامح؟ ليس من حقه››
ابتسم هاشم وقال:

- ‹‹إنه مدير المركز يا رجل، من له الحق في الرفض إن لم يكن للمدير؟››

قال جعفر في حدة:

- ‹‹الحق يعتمد على المنطق، من لا منطق له لا حق له.. بأي منطق يرفض المدير انضمام سديم إلى فريقنا؟ لقد كانت في فريق الأشاوس، وها هو الفريق يختفي في حالة غامضة.. هي تريد الانتساب إلينا، ونحن نريدها بين صفوفنا، ومصلحة العمل تتطلب انضمامها إلينا بالفعل، فما منطقه بعد كل هذا في الرفض؟››

التفت هاشم عن منظر السلحفاة التي بدأت تبتعد يائسة من استيعاب سر القبة الزجاجية، وتطلع إلى وجه جعفر مبتسماً وهو يقول:

- ‹‹أنا مثلك يا صديقي، أريد لسديم أن تنضم إلى فريقنا؛ فهي ذكية، وخبيرة برمجة وحاسوب، وتجيد شيئاً من الطب، و...››

‹‹وجميلة››

ضحك هاشم وتابع:

- ‹‹نعم، جميلة كذلك.. وانضمامها إلى صفوف الروامح مكسب لا شك فيه، خاصة وأن لديها خبرة في مجال عملها الميداني، بحكم تعاملها مع فريق الأشاوس، الفريق رقم واحد في مركز آفاق العلمي، تحت قيادة العقيد عدنان، الذي لا يختلف اثنان على نبوغه في عمله، رغم أسلوبه المستفز في التعامل مع من حوله››

تساءل جعفر:

- ‹‹إذن؟!››

أجابه هاشم:

- ‹‹لا يوجد إذن.. مدير المركز يرى أن سديم ما زالت تنتمي

إلى الأشاوس، وغياب الفريق لا يعني انحلاله.. المدير يثق كثيراً بقدرات الأشاوس ويرى أنهم حتماً سيعودون عاجلاً أو آجلاً.. قرار انتقال سديم من فريق الأشاوس إلى فريق الروامح يحتاج إلى الأخذ برأي العقيد عدنان.. ليس عدنان بالرجل الهين في المركز، وكلامه يؤخذ به، وله اعتبارات كثيرة››

هتف جعفر في عصبية لم تخفت ذرة واحدة:

ـ ‹‹وماذا لو لم يعد الأشاوس أبداً؟ نفقدها؟››

أخرج هاشم سواكه من جيبه، وضعه بين أسنانه وقال:

ـ ‹‹المستقبل في علم الغيب، نحن لا ندري ما الذي سيجري.. كل ما علينا هو أن نحاول، لعلنا ننجح أو...››

سكت قليلاً، جعل يتلفت حوله..

سأله جعفر: ‹‹ماذا هناك؟››

في حيرة أجابه هاشم وهو مستمر في الالتفات:

ـ ‹‹لا أدري.. يخيَّل إليَّ أنني رأيت شيئاً ما.. شيئاً أسود اللون يراقبني››

تلفت جعفر بدوره، وتساءل:

ـ ‹‹يراقبك؟!››

قال هاشم:

ـ ‹‹منذ الصباح، منذ خرجت من منزلي وأنا أشعر أن هناك من يراقبني.. من حين لآخر أرى سواداً لا أستوعبه، يظهر ويختفي سريعاً››

استلَّ جعفر مسدسه الليزر، وهتف في حزم:

ـ ‹‹من هو؟ وماذا يريد منك؟››

بدأ هاشم يستاك ببطء، وهو يقول في شرود:

ـ ‹‹أخشى أن سؤالك ‹من هو؟› فيه صياغة خاطئة.. ربما الصحيح أن نقول ‹ما هو؟›.. لا أشعر أن الأمر يبشر بالخير مطلقاً››

❋❋❋

ما زال جسد إنعام كما هو في المستشفى، في غيبوبته العميقة المجهولة، موصولاً بالأسلاك والأنابيب الطبية، يزورها الدكتور جمعة رضوان، رئيس قسم الأعصاب والمخ، من حين لآخر يطمئن عليها، والممرضات يتناوبن على زيارتها وتغذيتها وحقنها بالأدوية المطلوبة..

جالسة على مقعدها بالقرب من صديقتها، كانت عنادل شاردة تماماً تفكر في هذه الحالة العجيبة التي آلت إليها صديقتها إنعام..

يقال ‹رُبَّ أخ لك لم تلده أمك›.. إنعام لم تكن مجرد صديق، وربما ليست أختاً كذلك.. هي أقرب إليها من ذلك.. هي نفسها بذاتها..

هناك تخاطر عقلي يتم بينهما مذ كانتا صغيرتين تلهوان وتلعبان معاً، هناك تلك الأحلام التي تزور الواحدة منهما، لتكتشف في الصباح أن الأخرى حلمت بذات الحلم.. هناك تلك الأفكار التي تطرأ في عقليهما معاً دون سابق اتفاق..

في شخصيتهما هما مختلفتان تماماً عن بعضهما البعض، فإنعام رقيقة كملاك، و عنادل يشهد لها الجميع بلسانها السليط الذي لا يرحم، وسخريتها من كل شيء وفي أي موقف..

سقطت إنعام في غيبوبتها، فإذا بها تمتلك فجأة قدرة عجيبة على زيارة عنادل في أحلامها..

كيف يجري هذا الأمر؟ ترى هل لترابطهما شأن في هذا؟

‹‹السلام عليكم››

بصوت هادئ يحييها هاشم وهو يدخل غرفة العناية المركزة، فتجيبه عنادل ليسألها:

ـ ‹‹كيف حالها الآن؟››

أجابته:
- ‹‹لا جديد.. هي كما هي››
جلس هاشم بالقرب منها:
- ‹‹هل زارتك في حلمك مرة ثانية؟››
أومأت برأسها وقالت:
- ‹‹زارتني.. إن زياراتها تربكني في الواقع.. تأتي سريعاً وتذهب أسرع.. بالكاد نتبادل بضع كلمات قبل أن تختفي››
ثم التفتت تسأله:
- ‹‹ما رأيك أنت؟››
أجابها وهو يتطلع إلى جسد المسكينة الهامد على السرير الأبيض الطبي:
- ‹‹أنا رأيي من رأي الأطباء النفسيين الذين سبق أن درسوا هذه الحالة.. هناك علاقة قوية تربط بينك وبينها، وكلنا إذا ارتبطنا بشيء وتعلقنا به هذا التعلق العميق نراه في أحلامنا.. ما ترينه في أحلامك يا عنادل لا يعدو أن يكون حلماً طبيعيًّا.. هي النفس تتلاعب بنا.. المفترض أنك تفهمين هذه الأمور››
قالت في ضيق:
- ‹‹هذا ما يردده الجميع.. لكنهم مخطئون.. كلكم مخطئون.. إنها تزورني بروحها فعلاً.. حينما ننام تزداد شفافية الروح، تخرج أرواحنا من أجسادنا وتتلاقى مع بعضها البعض.. هذا كلام حق لا لبس فيه.. سقطت إنعام في غيبوبتها، فإذا روحها تزداد شفافية ورقة، وإذا بها تزورني زيارة حقيقية.. أنتم لا تفهمون، تؤمنون بالماديات فقط، وتنسون الروحانيات.. للروح كلمة لا تفهمونها يا رجال العلم››
أجابها هاشم:
- ‹‹من المفترض أن كلمة ‹رجال العلم› تنطبق عليك كذلك، لا تنسي أنك عالمة فيزياء يا دكتورة عنادل››

قالت:

ـ ‹‹أعترف أنني علمية بتفكيري ومنطقية، لكنني كذلك إنسانة››

‹‹وأنا إنسان.. كلنا أناس››

‹‹الفرق أنني أعترف بإنسانيتي.. من يعترف بروحه ويؤمن بها أكثر إنسانية من ذلك الذي لا يفعل››

كان يعلم ذلك.. كان موقناً أنه لن يغلبها أبداً في نقاش ولا جدال..

هي الفائزة في كل حوار يمكنك أن تجريه مع عنادل.

نهض من مقعده..

‹‹أستأذنك››

لم تقل شيئاً..

‹‹نلتقي لاحقاً››

ألقى نظرة أخيرة على جسد إنعام، ثم غادر غرفة العناية المركزة.. لكنه ما أن وصل باب الغرفة هامًّا بالخروج، حتى قالت عنادل فجأة:

ـ ‹‹لقد حذرتني من قط أسود››

التفت إليها، فنظرت إلى وجهه وقالت:

ـ ‹‹أنا أستوعب تماماً مقدرتها في التواصل معي حينما أنام، لكن ما لا أستوعبه هو قدرتها على معرفة بعض الأمور››

سألها: ‹‹عن أي قط أسود حذرتك؟››

هزت كتفيها وقالت: ‹‹لم تفصح عن شيء.. كل ما قالته ‹هناك قط أسود، لا تتجاهلوه.. إنه حولكم.. إنه بينكم›.. لم تقل الكثير››

ابتسم هاشم وقال: ‹‹هذا الكلام بحد ذاته يدحض نظريتك في مسألة زيارة الأرواح.. إنها أضغاث أحلام ليست إلاَّ يا دكتورة..

يكفي أنه لا توجد في مدينة آفاق حيوانات؛ لا قطط سوداء ولا زرقاء ولا هم يحزنون››

لم تجبه، فهمَّ بالخروج من غرفة العناية المركزة عندما...

ما هذا؟

هناك من يراقبه من جديد؟ إنه يشعر به..

ولكن أين؟

في المستشفى كذلك؟

هنا شيء ما خلف الباب.

التفت سريعاً نحو الباب، فإذا بكومة من الشعر تنظر إليه.. كومة سوداء عجيبة..

كلا، لم تكن كومة شعر، لقد كان قطًّا مخيف الشكل.. قطًّا أسود.

ركض القط فجأة بسرعة عجيبة ليختبئ داخل دولاب معدني في الجوار.. أسرع هاشم يفتح الدولاب ليتفاجأ أنه فارغ تماماً..

مستحيل! أين اختفى هذا القط؟!

مشوَّش العقل عاد هاشم إلى غرفة العناية المركزة..

‹‹عنادل..››

التفتت إليه مستفهمة..

‹‹أنت محقة.. هي ليست أحلاماً.. إنه تواصل حقيقي››

لم تستوعب كلامه..

اقترب من جسد إنعام المسجيّ على السرير، الهادئ في سكون بريء، تطلَّع إليها في صمت برهة، قبل أن يقول متسائلاً بصوت خافت، كأنما كان يهمس:

‹‹السؤال الحقيقي هو كيف؟ كيف يمكن لإنعام معرفة هذه الأمور وهي في غيبوبتها؟››

لكنه سؤال ظل معلَّقاً بلا جواب.

❋❋❋

3. الرُّكن الأسود

‹‹إنها الجن››

صرح بها مدير مركز آفاق العلمي، فشعر هاشم بالاستفزاز، مما جعله يقول:

- ‹‹سيدي، أؤمن بالجن، وأنهم يحيطون بنا في كل مكان من حيث لا نراهم.. لكن أن يخرج هذا التفسير من مدير مركز علمي مرموق بهذه العفوية؛ هذا أمر لا أستوعبه.. اعتدنا مثل هذه التفسيرات من عامة الناس.. كل أمر غريب يجري هو من فعل الجن، كل مصيبة تصيبنا هي إصابة عين، كل مرض هو سحر، كل هفوة أو سقطة أو حادث هو حسد.. لكن رجلاً علميًّا يترأس مركزاً علميًّا لا أظنه بهذه السطحية من التفكير يا سيدي.. فهلاَّ فسَّرت لي وجهة نظرك كي أستوعبها؟››

أجابه المدير قائلاً:

- ‹‹العلم لا ينافي وجود الجن أيها الملازم››

أسرع هاشم يقول:

- ‹‹ولا أنا أعترض وجود الجن، هي مخلوقات في علم الغيب، أثبتها القرآن والسنة.. إنما نحن لا نفسر الأمور على هذا النحو.. نحن رجال علم، وعلينا أن نستدل بالأسباب التي تدل على الحقائق››

صمت المدير فترة، جعلت هاشم يصمت بدوره..

سوف يتم تكليف الروامح هذه المهمة، وعليه لا ضير من الإفصاح عن بعض الأمور السرية.. لقد أثبت الملازم هاشم كفاءته مع فريقه، ولسوف يكون أهلاً كي يحتفظ بهذا السر ويتولَّى مع فريقه زمام الأمور.

نهض المدير من مكتبه، فنهض خلفه هاشم.. اتجها معاً إلى زاوية غرفة المكتب حيث مجسم مصغَّر يمثل مدينة آفاق..

عن طريق عصا ليزرية، أشار المدير إلى جزء فارغ من المدينة وسأل:

- ‹‹هل تعرف هذه البقعة من المدينة أيها الملازم؟››

أومأ هاشم برأسه وأجاب:

- ‹‹بالتأكيد.. إنها الركن الأسود.. منطقة لم يتم تأهيلها بعد، وفيها يتم التخطيط لبعض المنشآت الخاصة؛ لذلك هي منطقة محرمة على العامة، ومحاطة بسياج إشعاعي منعاً للاقتراب منها››

قال المدير:

- ‹‹صحيح.. هذا ما قمنا بإشاعته بين أفراد مدينة آفاق››

بُهت هاشم، وهتف:

- ‹‹ما قمتم بإشاعته؟!››

عاد المدير يجلس على مقعده، في حين بقي هاشم واقفاً ينتظر التفسير..

وبدأ المدير يحكي..

‹‹بدأ الأمر في فترة بناء المدينة نفسها..››

يعلم هاشم أنهم باشروا العمل في إنشاء مدينة آفاق تحت أعماق بحر الخليج العربي عام 2048م، وتم الانتهاء منها في غضون ثلاثة أعوام فقط..

ما لم يكن يعلمه أنه في العام الثاني من الإنشاء، واجهت العمَّالَ بعضُ المشاكل..

هناك أدوات تختفي، معدات ثقيلة وخفيفة، غواصات، شاحنات مائية، رجال آليون، وغيرها من المعدات الأخرى الكثير.. بعض الرجال يؤكدون أنهم شاهدوا أشباحاً، والبعض يصرون أنهم رأوا حيوانات يستحيل تواجدها في هذا العمق من

البحر..
كل هذه الأمور تحدث في منطقة معينة، وهي المنطقة التي تم تسميتها لاحقاً بالركن الأسود.
فريق من العلماء زار المكان، وعاين المنطقة، ودرس المشكلة تماماً، بل ورأوا بأم أعينهم حقائق ما كان يُشاع عن المنطقة، قبل أن يخرجوا جميعاً برأي واحد؛ وهو أن هذه المنطقة مسكونة بالجن.
نحن نعلم أن الجن تملك إمكانيات تتفوق بها على البشر؛ يمكنها الغوص تحت الماء، والطيران في الجو، والتشكُّل على هيئة تخالف هيئتها الحقيقية..
تم دراسة الأمر على نحو جاد من قبل علماء، وتم تأكيد التفسير.. هؤلاء جن فعلاً.
منطقة يسكنها الجن، قمنا نحن بالاعتداء عليها وإزعاج قاطنيها، مما جعلهم يحاولون إخافتنا لإبعادنا عن منطقتهم.. كنا قد بلغنا مرحلة متقدمة من الإنشاء، والركن الأسود دخل في حدود المدينة تحت القبة الزجاجية؛ لذلك لم يكن من المنطق أن نتراجع.. كان القرار هو الاستمرار، بشرط تحريم تلك المنطقة، وإحاطتها بسياج إشعاعي منعاً للمتطفلين، مع التأكيد أن يبقى الأمر سرًّا، وألاَّ يذاع إلاَّ للخواص من أصحاب المناصب.
‹‹إلى هنا انتهت المشكلة تماماً.. ومع عدم تعاملنا مع الركن الأسود ساد الهدوء، وتراجعت الجن عن إزعاجنا.. عشنا في سلام، هم في ركنهم الأسود، ونحن في مدينتنا››
صمت المدير، فاستحثه هاشم قائلاً:
- ‹‹ثم؟››
استمر المدير في صمته ثوان إضافية، قبل أن يقول:
- ‹‹قبل عامين من الآن، عادت الضجة تُثار من جديد.. تماماً

كما يحدث هذه الأيام، تظهر لنا مخلوقات سوداء اللون؛ كلاب سوداء، قرود سوداء، أفاعٍ سوداء، غزلان سوداء، ضفادع سوداء.. انتشرت هذه الحيوانات وغيرها على نطاق واسع في المدينة، لم نجد لها تفسيراً سوى أن نربطها بالركن الأسود.. مدينة آفاق لا تحوي حيوانات، ونحن تحت قاع البحر، من أين تأتي هذه الحيوانات إذن؟ ولونها الأسود يؤكد نسبتها إلى الركن الأسود››

قال هاشم:

- ‹‹لعل أحدهم أزعج قبيلة الجن هذه، فثارت تريد بعض الهدوء››

تراجع المدير بظهره إلى مقعده وأجاب:

- ‹‹احتمال ضعيف جدًّا.. الدخول إلى المنطقة لا يتم بهذه السهولة.. الاقتراب من المنطقة بحد ذاته، ودون إذن مباشر من المسؤولين؛ سيطلق إشارة التحذير لنا.. لكن أحداً لم يقترب من المنطقة، وهذا مؤكد.. الأرجح أن أمراً حصل في قبيلة الجن، بينهم وبين أنفسهم، جعلهم يعتدون علينا بهذا السفور››

صمت هاشم فترة يفكر، قبل أن يستحث المدير قائلا:

- ‹‹ثم؟››

تابع المدير:

- ‹‹ثم قمنا بعملنا كمركز علمي مؤهل لمواجهة مثل هذه الأمور.. أرسلنا أقوى رجالنا إلى الركن الأسود، وكانت مهمته كشف هذا السر والحلول دون المزيد من الصِّدامات مع هذه المخلوقات النارية››

تساءل هاشم:

- ‹‹أقوى رجالكم؟ تقصد فريق الأشاوس؟››

أومأ المدير برأسه إيجاباً وقال:

- ‹‹هم بعينهم.. فريق الأشاوس الذين شاركوك في مهمتك

السابقة واختفوا في وضع غامض.. الفريق رقم واحد في المركز العلمي، والذي يقودهم العقيد عدنان››

سأله هاشم:

- ‹‹وما الذي جرى في المهمة؟››

ابتسم المدير ابتسامة غريبة، قبل أن يشير بيديه إشارة مبهمة لا معنى لها، ويقول ببساطة:

- ‹‹لا أدري››

أثار الجواب حيرة هاشم، فتساءل:

- ‹‹لا تدري؟! ما معنى ذلك؟››

قال المدير:

- ‹‹لا أدري.. لا أحد يدري.. دخل فريق الأشاوس الركن الأسود.. اختفوا عن شاشات المراقبة، ثم عادوا ليؤكدوا لنا أن هناك فعلاً قبيلة من الجن، وأن كل ما علينا فعله هو الابتعاد عنهم، وسيتركوننا بهدوء.. طالبنا العقيدَ عدنان بسرد كل ما جرى لهم هناك، لكنه أكد أن أحداً ما أزعج الجن، فثاروا.. قابلهم العقيد عدنان بنفسه، وتحدث إليهم، ووعدهم أن الأمر لن يتكرر.. نحن متأكدون أن أحداً لم يزعجهم، لكن الجن - على حدِّ زعم العقيد عدنان - مصرون أن هناك من أزعجهم، وهذا سبب عبثهم في المدينة.. انتهت المشكلة حتى تلك اللحظة، وعاد الهدوءُ المنطقةَ من جديد.. لم نعد نسمع أو نرى، منذ ذلك اليوم، أيَّ حالات من ظهور أيِّ حيوانات أو مخلوقات سوداء››

صمت المدير برهة أخرى، جعلت هاشم يتساءل:

- ‹‹هل من أمر آخر حدث؟››

نظر المدير إلى عيني هاشم وقال بحزم:

- ‹‹إنه يكذب››

بُهت هاشم وهو يتساءل:

- ‹‹يكذب؟.. من تعني؟››

أجاب المدير على الفور:

- ‹‹العقيد عدنان.. يكذب.. لقد جرى أمر ما في لقائه مع الجن، لكنه لا يفصح عن هذا الأمر.. لقد ارتبتُ فيه شخصيًّا.. هو أفضل رجالنا لا شك في ذلك، وأنا أثق فيه تماماً.. لكنه في هذه المهمة التي بعثته إليها لم يُفصح عن كل ما جرى له.. تقريره كان ناقصاً››

تساءل هاشم:

- ‹‹تتحدث عن العقيد عدنان، أم فريق الأشاوس بصفة عامة؟››

أجابه المدير:

- ‹‹بل العقيد عدنان.. بحسب التقارير المشتركة للفريق، قائدهم هو الوحيد الذي التقى بالجن، حصل في اللقاء أمرٌ ما، ثم عاد إلينا ليكذب بشأن أنَّ هناك من أزعج الجن، وكل ما يطلبونه هو بعض الهدوء.. وافقتُ على التقرير، لكنني على ثقة أنه يكذب››

قال هاشم:

- ‹‹ثقةُ تخمينٍ وحَدَسٍ، أم ثقةُ أدلةٍ وبراهين؟››

كان المدير يحاول كتم انفعاله بالعبث ببعض الأوراق أمامه، وهو يقول:

- ‹‹لقد شوهد يدخل الركن الأسود خلسة بعد انتهاء مهمته بفترة وجيزة.. فعلها أكثر من مرة››

في حيرة تساءل هاشم:

- ‹‹كيف والمنطقة محاطة بسياج إشعاعي يستحيل اختراقه كما تقول؟››

هز المدير كتفيه وأجاب:

- ‹‹لا أحد يدري كيف يفعلها.. قمنا بمراقبته لكنه كان يخترق

السياج الإشعاعي بالفعل دون أن يتأذى ودون أن ينطلق الإنذار المفترض.. إنه يتعامل معهم››

عقد هاشم حاجبيه وقال:

- ‹‹يتعامل معهم؟.. هل تعني أنه يجتاز السياج مساندة من الجن أنفسهم››

أومأ المدير برأسه قائلاً:

- ‹‹على الأرجح نعم.. هذا هو التفسير الواضح لدينا››

تساءل هاشم:

- ‹‹وهل واجهتموه بمعرفتكم أمره؟››

هز المدير رأسه وقال:

- ‹‹لم نفعل.. الحقيقة أنني رغم كل هذا أثق به كثيراً، هو رجلنا الأول، وإخلاصه ليس مجالاً للشك.. هناك أمر نجهله، ولكن من يدري، ربما إذا علمناه فَقَدَ العقيد عدنان سيطرته على الأمور.. ربما هو أخفى عنا الأمر كي يحمينا.. أنا أؤمن بالقاعدة العسكرية التي تقول أن المعرفة على قدر الحاجة.. لا تنطبق القاعدة على الجنود فحسب، بل على القادة كذلك.. لماذا لا تكون للجنود بعض الأسرار التي لا يتوجب على القادة معرفتها؟.. لماذا لا تكون للموظفين بعض الأسرار التي لا يتوجب على المسؤولين معرفتها؟.. الجندي هو من يقوم بالمهمة، فلتكن له خصوصيته في العمل.. ينطبق الأمر على الموظفين في مقار أعمالهم، لتكن لهم بعض الخصوصية وإلا ضاع العمل وفسد بتدخلات المسؤولين المستمرة.. أنا أؤمن بهذه النظرية، فلتكن للعقيد عدنان خصوصيته، وليتحرك كيفما شاء، ما دام الأمر مستقرًّا والجن قد هدأت عن إزعاجها لنا››

فكر هاشم في مبدأ المدير قليلاً.. مبدأ عجيب لم يسمع عن مسؤول أنه تبناه من قبل، لكنه يحوي منطقاً في وجوه كثيرة.

عاد يقول:

- ‹‹ثم؟!››

وعاد المدير يهز كتفيه ويجيب:

- ‹‹ثم ها هي الجن تظهر من جديد.. كلاب سوداء، قردة سوداء، أفاعٍ سوداء، أخطبوط أسود، وحيوانات ومخلوقات من أصناف وأشكال مختلفة، يجمعهم اللون الأسود، ظهرت في مركز آفاق العلمي وبدأت تثير الذعر والخوف، ثم تعدت حدودها وخرجت من المركز إلى الشارع، بل ودخلت المنازل.. لقد ازدادت رقعة الركن الأسود أكثر هذه المرة، حتى باتت تغطي المدينة كلها››

صمت هاشم قليلاً قبل أن يقول:

- ‹‹وقط أسود كذلك››

تساءل المدير:

- ‹‹قط أسود؟.. ماذا تعني؟››

أجابه هاشم:

- ‹‹هناك قط أسود يلاحقني منذ صباح اليوم، كلما اقتربت منه أراه يختبئ.. فلما أكشف عن مكان اختبائه لا أجده.. الأمر تكرر معي أكثر من مرة وفي أكثر من مكان››

حك المدير ذقنه وقال:

- ‹‹نفس الأمر حصل معي هذا الصباح في مكتبي مع فأر أسود.. لقد تعدى الأمر كل الحدود.. إنهم يمتلكون القدرة على تجاوز كل الجدران الأمنية.. حتى مكتب مدير مركز آفاق العلمي قد اخترقوه.. هذا يؤكد أنهم جن بالفعل››

قال هاشم وهو غارق في تفكير عميق:

- ‹‹ألم تلاحظ أمراً يا سيدي؟.. كل هذه الأمور حصلت بعد مهمتنا الأخيرة في جبل فوجي››

صمت المدير برهة، قبل أن يتساءل:

- ‹‹إلامَ تلمح أيها الملازم؟››

أجابه هاشم في سرعة:

- ‹‹أنا لا ألمح.. أنا أقولها صراحة.. كل ما جرى ويجري سببه اختفاء العقيد عدنان.. العقيد عدنان كان يزورهم خلسة بين الفترة والأخرى لسبب ما، فلما اختفى في مهمتنا السابقة، حدث خلل ما مع الجن، هكذا بدأت الجن تثير العبث هنا وهناك.. ذلك الخلل الذي حدث يكمن تفسيره في الأمر الذي يخفيه العقيد عدنان عنكم.. إذن الأمر يدور حول العقيد عدنان هذه المرة››

أومأ المدير برأسه إيجاباً وقال:

- ‹‹كلامك منطقي تماماً››

ثم أشار إليه وتابع:

- ‹‹أنت ذكي أيها الملازم، وفريقك متميز.. المهمة بين أيديكم››

أومأ هاشم برأسه وقال في حماس:

- ‹‹نحن لها يا سيدي››

ثم دار على عقبيه يريد الانصراف، لكنه توقف برهة، وعاد يلتفت إلى المدير ويقول:

- ‹‹سيدي.. بخصوص الآنسة سديم.. كنت أريد أن...››

قاطعه المدير في حسم:

- ‹‹كلا.. لقد تناقشنا في هذه المسألة سابقاً، وأخبرتك أن الآنسة سديم ضمن فريق الأشاوس، ولن تنتقل إلى الروامح حتى يعود العقيد عدنان ويوافق على هذا.. الأمر غير قابل للنقاش››

قال هاشم:

- ‹‹لست أتحدث عن انضمامها إلى فريقنا يا سيدي، ولكن الآنسة سديم كانت ضمن فريق الأشاوس في مهمتهم تلك في الركن الأسود.. كنت أريد أن تعاوننا في مهمتنا هذه، بحكم

تعاملها المسبق مع المنطقة››

صمت المدير يفكر برهة، ثم رفع رأسه يتطلع إلى هاشم قبل أن يقول:

ـ ‹‹حسناً، لك هذا.. يمكنها معاونتكم.. فكرة جيدة، وأمر يخدم المهمة فعلاً››

ابتسم هاشم وهو يقول: ‹‹شكرا لك يا سيدي››

ثم غادر مكتب المدير وهو يحدث نفسه قائلاً:

ـ ‹‹اهنأ يا جعفر.. هي ذي سديم تشاركك مهمة جديدة.. يا لحسن حظك!››

❋❋❋

4. الجِنُّ الأسود

إنه الليل ..

وفي الليل تنام الأجساد وتنهض المشاعر والأحاسيس والأفكار، ولعل الذكريات تصل إلى أوجّها في الليل؛ لذلك ننام لنتخلص منها، فما أكثر الآلام التي تسببها لنا الذكريات، التي تنكأ جراحات لم تندمل، أو تنبش قبوراً لذكريات نحاول دفنها قدر استطاعتنا..

الأفكار تزداد شراسة في الليل، والهموم تخرج إلى سطوح وجوهنا في الليل، والأرق حيوان ليلي مفترس، ينهش لحومنا في الليل..

هكذا عجز هاشم عن أن ينام في تلك الليلة، والأفكار تأخذ بعقله وتذهب، تقلبه على سريره جهة اليمين تارة، وجهة اليسار تارة أخرى.. يئس أن يروّض النوم، فقرر الاستسلام لليقظة.. نهض من سريره، ارتدى ملابسه، حمل سواكه، وخرج يجوب شوارع المدينة بسيارته، علَّ المناظر الجميلة لآفاق تلطِّف الجو في عقله، فتهدأ الأعاصير والعواصف في خلايا مخه، ليعود من جديد إلى النوم في سكينة وهدوء..

هي مدينة رائعة بالفعل، الأضواء المنتشرة في الطرقات توحي بالسكينة، ويزيدها روعة تلك الهالة الجميلة من الضوء التي تحيط القمة العلوية من المدينة، وتخلق مع تموجات البحر وانعكاسات الأنوار، بالإضافة إلى الحيوانات البحرية حولها؛ عالماً من الفتنة تأسر من ينظر إليه وتخلب لبَّه.

أوقف هاشم سيارته أمام حديقة خضراء، وضع السواك في فمه، وترجَّل يمشي على قدميه يتأمل الدنيا من حوله.. هي دنيا

صناعية، لكنها قدرة ربانية، أودعها الله تعالى في عقل الإنسان حتى صنعها، ثم امتزجت هذه الصناعات في عالم الطبيعة؛ من انعكاسات طبيعية للأنوار مع مياه البحر المتموجة، لتخلق لنا منظراً طبيعيًّا أكثر منه منظراً صناعيًّا..

تظلُّ القدرة الإلهية هي المسيطرة على الوجود، شاء الإنسان ذلك أو أبىٰ!

يتأمل هاشم قدرة الإنسان فيما حوله، ويمزجها بتأملات في قدرة الله تعالى، ثم تجرفه تأملاته بلا وعي إلى المخلوق، فإذا بالجن مخلوقات لها قدراتها كذلك.. هكذا ينهض وحش أفكاره من غفوته؛ ليعبث بخلايا عقله من جديد..

ميزة الهموم أنها مثل شاطئ البحر، ما إن تنحسر مياهها في جزرٍ جميل، حتى تعود من جديد في مدٍّ مزعج.

هل هي الجن فعلاً؟ لماذا لا تكون مخلوقات بحريَّة مثلاً، تمتلك القدرة على التشكل والتمحور، سكنت قاع الخليج، وأزعجها تواجد البشر هنا؟!

العلماء أكدوا أنها جن، لكن كيف تأكدوا من ذلك؟ مدير المركز لم يوضح هذه المسألة!

العقيد عدنان قابلهم، وأكد أنهم جن.. لكن ما الذي يثبت أنه يقول الحقيقة؟ هو يخفي أموراً، فلماذا لا يُخفي حقيقة المخلوقات كذلك مع الأمور الأخرى التي يخفيها؟ هذا وارد.

لكن مهلاً.. لماذا نستبعد دائماً الجن؟

نحن نؤمن بالجن فعلاً، هم حقيقة أكدها الله تعالى في كتابه، وأكدتها السنة النبوية، ومع ذلك كلما واجهنا موقفاً غريباً، استنكرنا ـ نحن رجال العلم ـ أنها من عمل الجن..

ما الذي يمنع كونهم جنًّا؟ كل الأمور تشير إلى ذلك، فلماذا نرفض هذا التفسير، مع أنه التفسير الأقرب إلى الحقيقة والواقع.. كثرة هوس الناس عادةً إلى هذا التفسير جعلنا نستبعده

في جميع حالاتنا..

خطأ أن نفسر كل غريب يحصل لنا أنه من فعل الجن، لكن بالمقابل استبعاد هذا التفسير بطريقة قطعية خطأ كذلك.. علينا التوفيق بين الأمرين؛ فكل الأمور محتملة.. هذه المخلوقات لو كانت مخلوقات بحرية فعلاً، فكيف لها أن تتشكل على هيئة مخلوقات أرضية؟ الجن تتشكل لنا بهيئات مختلفة لأن أشكالها مخيفة، وهناك حاجز فيما بيننا وبينهم، فلماذا تتشكل هذه المخلوقات البحرية على هيئات مغايرة لطبيعتها؟!

التفسير المنطقي والأقرب إلى الواقع أنهم جن!

ثم لا فرق بين كونهم جنًّا أو غير ذلك.. هناك مخلوقات سوداء تحاصرنا، وتمتلك القدرة على التشكل، وعلينا التصدي لها.. لا فرق بين كونها هذا أو ذاك.. ماذا نعرف نحن عن الجن لكي نتحدث عن مبدأ ‹اعرف عدوك›؟

فليواجه فريق الرومح هذه المخلوقات، وهناك ستتضح الأمور أكثر فأكثر.

لقد انتصف الليل، وحان موعد الرجوع إلى المنزل.. يمكن محاربة الأرق ببعض آيات القرآن يقرأها هاشم، و...

هو ذا القط الأسود.. إنه مستلقٍ بكل هدوء على سطح سيارته..

توقف هاشم يحاول دراسة الموقف.. ما الذي يريده هذا القط؟ لماذا يطارده؟ هل للأمر علاقة بالمهمة الأخير للفريق مع الأشاوس في اليابان؟!

نهض القط من رقدته، وتمطَّى قليلاً، ثم قفز من على السيارة يبتعد عن المكان..

‹‹لن تفلت مني هذه المرة››

نطقها هاشم، وأسرع يركض خلف القط.. بدا القط وكأنه

جفل من حركة هاشم، وانطلق يركض سريعاً يحاول الاختباء بين الأشجار المحيطة بهما.. لكن هاشم كان مرناً بما يكفي كي يلاحقه بسرعة..

لم يستطع هاشم الإمساك به، لكن القط لم يفر بعيداً.. ما زال في مرمى بصر هاشم..

‹‹هذه المرة أنت لي.. سأمسك بك››

لكن من ذا الذي يقارن مرونة البشر بمرونة القطط؟ أنَّىٰ لهاشم أن يجاري في سرعته وحركته سرعة وحركة القط؟

لم يستطع مجاراته قطعاً، لكنه استطاع بحركة تحايلية أن يحشره في زاوية مغلقة، جعلت القط يتوقف لا يعرف إلى أين يذهب.. المخرج الوحيد الذي يمكنه الفرار منه يقف هاشم مانعاً إياه من المرور..

‹‹وقعت في قبضتي أخيراً››

توقف القط في تحفز يتطلع إلى هاشم، الذي فرد ذراعيه متأهباً لأي حركة من الممكن أن يقوم بها القط، وهو يقترب منه ببطء، ويحادثه:

- ‹‹انتهى أمرك.. أنت لي الآن.. لا تحاول الفرار، لن تنجح مهما كانت مرونتك››

اقترب هاشم كثيراً من القط، والقط متحفز وقد انتصب شعر ظهره..

كانت المسافة بين هاشم والقط قد تقلَّصت كثيراً.. الآن لم يعد هناك سوى متر واحد فقط.. عندها بدا القط وكأنه قد تراخت عضلاته فجأة، وانخفض انتصاب شعر ظهره، وهدأ تماماً وهو يستقر على الأرض كأنما يجلس على قائمتيه الخلفيتين في سكينة..

استغرب هاشم من ردة فعله، لكنه لم يتخلَّ عن حذره ولا عن تحفزه.. هذا المكر الذي يحاول القط الظهور به لن يفلح، ليس

هاشم الذي...
يا إلهي!
فجأة، اختفى القط.. تلاشى..
كان يقف بهدوئه المستفز أمامه، محشوراً في زاوية ما، لكن في اللحظة التالية اختفى تماماً، وكأنه لم يكن موجوداً منذ البداية..
ورغماً عنه، انتفض قلب هاشم بقوة..
إنه جن..
لا مفر من الاعتراف بهذه الحقيقة.

❋❋❋

لم ينم هاشم تلك الليلة.. أفكاره تأخذه وتأتي به..
قرأ القرآن، حاول بكل استطاعته التدبر في الآيات.. هدأ قليلاً، لكن لم يهدأ عقله تماماً.. توضأ وصلى ركعتين، ثم حاول النوم فلم يستطع.
حينما أذَّن الفجر، كان عقله مستيقظاً، نهض واتجه إلى المسجد وسواكه بين أسنانه.
في الطريق صادف الدكتور فهد رمضان، مدير مكتب البحوث العلمية، يمشي الهوينى، وعلى عينيه بدت آثار النوم لم تنجلِ بعد.. كانت من الحالات النادرة التي يُرى فيها الدكتور فهد من دون بالطو المختبر الذي لا يخلعه أبداً..
‹‹صباح الخير دكتور››
‹‹صباح الخير أيها الفتى.. عيناك حمراوتان.. يظهر لي أنك لم تنم الليلة››
ابتسم هاشم قائلاً:

- ‹‹بالفعل لم أنم.. تؤرقني مهمة أنا في خضمِّها هذه الأيام››

أومأ الدكتور فهد برأسه، وأكمل طريقه دون أن يُعقِّب.. هو أكثر من يعلم طبيعة المهام التي توكل إلى رجال المركز.. هي مهام سرية لا يتم الإفصاح عنها إلاَّ للضرورة.. لم يزره هاشم في معمله في الآونة الأخيرة، وهذا معناه أن المهمة هذه المرة لا علاقة لها بالأمور العلمية.. هل هناك مهمة في مركز آفاق العلمي لا تتعلق بالعلم؟

‹‹أريد محادثتك قليلاً دكتور فهد.. إن سمحت لي بعد الصلاة››

عاد الدكتور فهد يومئ برأسه، ودخل المسجد في صمت.

مع صوت الإمام الشجي، شعر هاشم بالارتياح وهو يتأمل آيات الله تعالى في كتابه، فاطمأن قلبه كثيراً، وهدأت روحه..

ما ألذ القرآن الكريم! فإذا كان الصوت شجيًّا، ازدادت حلاوة القراءة أكثر فأكثر، وانغمس مستمعه إلى الطمأنينة أعمق فأعمق.

أنهوا صلاتهم، وخرجوا من المسجد، كل واحد إلى طريقه..

‹‹أرجو أن يكون لحديثك معي معنى أيها الشاب، وإلاَّ فأنا لم أعتد أن أتأخر عن عملي››

عُرف الدكتور فهد أنه أول من يحضر إلى العمل، يصلي الفجر، ويأكل فطوره على عجل، ثم يرتدي بالطو المختبر، ويسرع إلى عمله.. وكما قلنا سابقاً، هو رجل عملي تماماً، قد أصابه مسٌّ من علم.

ابتسم هاشم وقال:

- ‹‹هو سؤال عام، ولكن يعتمد عليك في توضيحك للأمر، لعلك تُسهب في الكلام فتؤخر نفسك، أو تختصر فتحفظ عليك وقتك››

‹‹إذن أسرع في سؤالك دون مزيد تأخير››

صمت هاشم للحظة، قبل أن يسأل:
- ‹‹الجن.. أريد أن أعرف كل شيء عن الجن››
سكت الدكتور فهد وهو ينظر إلى وجه هاشم، وطال سكوته، حتى ظن هاشم أنه لن يجيبه.. لكنه حينما فتح فمه ليجيبه، قال:
- ‹‹الجن من الغيبيات يا بُني››
ثم عاد وسكت..
استحثَّه هاشم قائلاً:
- ‹‹أريد معلومات لا أعرفها يا سيدي››
قال الدكتور فهد:
- ‹‹لم يتمكن العلم من فهم الجن بطريقة عملية، هناك فقط نظريات.. ولم يأت دين ولا مذهب تحدث عن الجن بأي تفصيل، إلا الإسلام، وكل التفاصيل التي ذكرها الإسلام تفاصيل تؤكد حقيقتهم، لكنها لا تشرح الكثير.. هكذا بقي الجن علماً من علوم الغيب، مأمورون أن نؤمن بوجودهم.. أنا رجل علم، يمكنني أن أفسر لك بعض الأمور النظرية، ولكن لا أملك أن أدخل في التفاصيل››
تساءل هاشم:
- ‹‹أخبرني عن الأمور التي تملك أن تفسرها نظريًّا››
أشار الدكتور فهد بيديه وقال:
- ‹‹انظر حولك يا فتى، ما الذي لا تراه؟››
كان سؤالاً عجيباً، لم يستوعبه هاشم، فقال:
- ‹‹أنت تعني ما الذي أراه، أليس كذلك؟››
بدت العصبية واضحة على وجه الدكتور فهد وهو يقول:
- ‹‹أنا لست بهذا الغباء أيها الشاب.. سؤالي واضح تماماً؛ انظر حولك وأخبرني ما الذي لا تراه؟››
كان الدكتور فهد جادًّا في كلامه.. منذ متى لم يكن كذلك؟

احتار هاشم، لكنه درءاً لعصبية الدكتور أجاب قائلاً:
- ‹‹أنا.. أنا لا أرى ما خلف ظهري.. لا أرى شعر رأسي.. لا أرى منزلي.. لا أرى السماء.. لا أرى الـ...››
‹‹أنت لا ترى غباءك››
هتف بها الدكتور فهد في غضب، ثم نقر رأس هاشم بعنف وقال:
- ‹‹حرِّك عقلك يا فتى.. منذ متى يعمل في مركز آفاق فتيان بهذا الغباء؟››
رغم الإحراج الذي شعر به هاشم، لكنه يعلم جيداً أسلوب الدكتور فهد العلمي تماماً، والذي لا يعطي أهمية للمشاعر..
لوَّح الدكتور بذراعيه لما حوله وقال:
- ‹‹الحياة من حولنا مليئة بالأشياء التي لا نراها.. هي بين ناظرينا، ولكننا لا نراها.. ذبذباتها تختلف عن الذبذبات التي تستطيع أعيننا رؤيتها، فتمر تلك الأشياء أمامنا دون رؤيتنا إياها.. بل وفوق ذلك، تعبر نفس الحيز الذي نعبره دون أن نصطدم بها.. تعبر خلالنا ونعبر خلالها.. يمكنك أن تقول أنها تقع في بُعدٍ آخر.. أنت تعرف ألوان الطيف السبعة بلا شك؛ الأحمر، والبرتقالي، والأصفر، والأخضر، والأزرق، والنيلي، والبنفسجي.. وهي الألوان الأساسية التي نراها في قوس القزح، أو قوس السماء، أو قوس المطر كما يحبذ البعض تسميته.. هذه الألوان نراها جيداً، وبقية الألوان الأخرى تتولد من هذه الألوان.. كل لون من هذه الألوان له ذبذبة خاصة به، أعيننا تتمكن من التقاطها؛ لذلك نراها.. لكن هناك ذبذبات تفوق ذبذبات اللون البنفسجي، وهناك ذبذبات تقل عن ذبذبات اللون الأحمر؛ هذه الذبذبات تتجاوز قدرة أعيننا عن رؤيتها، لكنها موجودة حولنا رغم أننا لا نراها.. هي في الحقيقة نوع من أنواع الطاقة.. وهناك ذبذبات أخرى، يقع بعضها ضمن الذبذبات التي

نراها؛ كالضوء مثلاً.. ومنها ضمن الذبذبات غير المرئية؛ كالموجات المنبعثة من الهواتف النقالة.. هذه الموجات يُطلق عليها علميًّا اسم (الموجات الكهرومغناطيسية).. الأمر ينطبق كذلك على الأصوات، فالأصوات عبارة عن موجات تذبذبية بدورها، وآذاننا تستطيع التقاط الذبذبات ما بين عشرين إلى عشرين ألف هيرتز، فما تحت العشرين هيرتز نعجز عن سماعه، وما فوق العشرين ألف هيرتز نعجز كذلك عن سماعه، هل فهمت؟››

تساءل هاشم:

- ‹‹هل تريد القول يا سيدي أن أجساد الجن شكل من أشكال الموجات الكهرومغناطيسية؟››

أومأ الدكتور برأسه وقال:

- ‹‹نظريًّا نعم، وعليه تكون الجن عبارة عن طاقة وليس مادة.. طاقة كهرومغناطيسية.. لذلك نحن لا نراهم ولا نسمعهم.. هم في عالمهم ونحن في عالمنا.. لا نملك رؤيتهم، لكنهم يملكون رؤيتنا››

صمت هاشم، فاستشعر الدكتور فهد عدم استيعابه للكلام، فسأله:

- ‹‹مم خُلقت الجن؟››

أجابه هاشم:

- ‹‹من نار››

أومأ الدكتور برأسه وقال:

- ‹‹بالضبط، من نار.. لكن ليست أي نار.. ليست النار التي نطبخ بها ونصطلي، بل من نار السَّموم.. ابن مسعود رضي الله عنه وصفها فقال أنها ‹نار لا دخان فيها، والصواعق تكون منها›.. ونظريًّا نحن نعلم أن الصواعق تنشأ عن طريق

الكهرباء، والكهرباء طاقة.. إذن حينما نقول أن الجن عبارة عن طاقة غير مرئية من المجال الكهرومغناطيسي فنحن لا نبتعد كثيراً عن المنطق العلمي والديني.. على أننا لا نملك إثباتاً قطعيًّا على هذا الأمر.. تظل نظريات››

هزَّ هاشم رأسه وقال:

ـ ‹‹عفواً سيدي، لكن هناك ثغرة علمية في التفسير.. إذا كانت الجن طاقة كهرومغناطيسية، معنى ذلك أنها عبارة عن حقل مغناطيسي وآخر كهربائي، متساويين في الشدة.. فكيف يتمكن الجن من الغوص في البحر؟ كيف يتلامسون مع الماء وجزء من تكوينهم طاقة كهربائية؟››

أجابه الدكتور فهد:

ـ ‹‹سبحان الله!.. نحن بشر مخلوقون من طين، ومع ذلك نسبح في الماء دون أن نذوب.. المواد لا نقيسها بوحدات بنائها دائماً، هناك عوامل أخرى تحدد خصائص كل مادة.. أنت تعلم أن الكربون هو الماس ذاته، لكن انظر إلى لون وقيمة وخصائص هذا، وانظر إلى لون وقيمة وخصائص ذاك.. لو أن مقاييسنا تعتمد على وحدات بنائنا؛ لما آلمنا ضرب التراب على وجوهنا، ولما كان عذاب العصاة من الجن النار››

قال هاشم:

ـ ‹‹الآن اتضح الأمر عندي.. لكن بما أن الجن طاقة غير مرئية، لها ذبذبات تختلف عن قدرتنا على رؤيتها، فكيف يحصل أنها تستطيع رؤيتنا؟››

أجابه الدكتور فهد:

ـ ‹‹كل عين ولها قدرتها يا فتى.. أعيننا البشرية ـ على تعقيد صنعها ـ أضعف من أن ترى كل شيء، في حين مثلاً تجد مخلوقات أخرى أعينها أكثر قوة؛ كالقطط التي تستطيع أن ترى في الظلام.. وهناك مخلوقات قوة سمعها أكبر من قوتنا؛ مثل

الخفاش ضعيف البصر، الذي يعتمد على سمعه في رصد الموجودات أمامه فلا يصطدم بها.. كل مخلوق يملك قدرة محدودة في سمعه وفي بصره.. والجن تستطيع رؤية ما لا نراه، وربما سماع ما لا نسمعه.. هناك أحاديث نبوية تشير إلى أن الحمار يمكنه رؤية الجن.. هذه قدرة أودعها الله فيه لحكمة يعلمها سبحانه››

عاد هاشم يسأله:

- ‹‹هل معنى كلامك يا سيدي أن أحداً لم يرَ الجن من قبل؟››

لوح الدكتور فهد بيديه وقال:

- ‹‹لا يمكنني أن أُفتي في هذه المسائل، أنا رجل علم، ولست رجل دين.. اذهب واسأل عالماً دينيًّا عن هذه الأمور.. لقد تأخرت بما فيه الكفاية.. أنا ذاهب››

قالها وابتعد عنه.. يا له من رجلٍ، كلُّ حركاته وسكناته عملية علمية محضة!

عاد هاشم أدراجه، ودخل المسجد من جديد.. كان الإمام جالساً هناك يذكر الله تعالى.. اقترب منه هاشم، ألقى عليه التحية، وجلس قبالته..

‹‹هل لي أن أسألك بعض الأسئلة يا شيخ جواد؟››

الشيخ جواد رجل ضرير، أكثر جلوسه في المسجد.. ابنه يعمل في مدينة آفاق، فأحضر معه والده يعيش معه هنا، فليس لهما أهل هناك في بلدهم.

مبتسماً قال:

- ‹‹تفضل يا بني.. سأجيبك على قدر علمي››

قال هاشم:

- ‹‹حدثني عن الجن يا شيخ››

ابتسم الشيخ وقال:

- ‹‹الجن؟.. وما الذي تريد معرفته عن الجن؟››

قال هاشم:

- ‹‹حدثني عنها بوجه العموم.. عن قدرتها، عن قوتها، عمَّا تملكه ولا نملكه.. حدثني عمَّن الأقوى؛ نحن أم هي؟››

لم تخفت ابتسامة الشيخ جواد وهو يجيب:

- ‹‹القوة نسبية يا ولدي.. يمكن لفأر أن يفعل ما يعجز عنه الأسد، ويمكن لذبابة أن تُعجز إنساناً.. لا يمكن تحديد من الأقوى.. تملك الجن قدرات قد لا يستوعبها البشر، تغوص في البحار وتعيش فيها، وتنتقل في الهواء، وتصل إلى السماء تستمع إلى حديث الملائكة، ولولا شهباً تترصد لها، لاستمروا في ترصدهم لكلام الملائكة حتى اليوم.. وتملك أن تتحول وتتشكل إلى أي هيئة تريد.. قدرات كبيرة وكثيرة، يقف أمامها الإنسان عاجزاً ضعيفاً.. لكن تذكر أن سليمان عليه السلام حكمهم ذات زمن، وليس حكمه إياهم حكماً بديهيًّا، إذا لا بد من شيء كان عليه السلام يملكه استطاع بوساطته أن يملكهم به.. حتى الشيطان كان يعجز عن أن يحرر بقية الجن من قبضة سليمان الملك.. هذا الإنسان الضعيف كيف تمكن من أن يملك ذاك الجن القوي.. نحتاج إلى مراجعة أنفسنا في الحياة عند تحديد مفهوم من القوي ومن الضعيف››

تساءل هاشم:

- ‹‹هل سبق لإنسان أن رأى جنيًّا؟››

ضحك الشيخ جواد قائلاً:

- ‹‹ومن يملك أن يراهم يا ولدي؟.. الله تعالى يقول في كتابه عن إبليس: ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ إبليس يا ولدي هو أبو الجن (على بعض الأقوال) والجن هم قبيلُهُ، تماماً كما أن آدم هو أبو البشر.. ولا يمكننا بحال من الأحوال رؤية الجن على حقيقتهم؛ اللهم إلاَّ أن يكون نبيًّا، أو من شاء الله له..

الجن يا ولدي وجوههم قبيحة مخيفة، لا يمكننا رؤيتها.. لن نحتمل رؤيتهم.. شبَّه الله تعالى شجرة الزقوم بأن طلعها كأنه رؤوس الشياطين.. من شدة قبحها جعلها الله عذاباً للظالمين.. لذلك رحمة بنا خلقنا الله تعالى بمعزل عنهم، ومنعنا من أن نراهم.. ولكن إذا أراد الجنُّ أن نراهم فإنهم يتشكلون على هيئة حيات وكلاب وعقارب وما سواها.. أو حتى إنسان.. لكن ليس على هيئتها الحقيقية.. على أنَّ نبي الله تعالى زارهم مرة، ورآهم على حقيقتهم.. الله تعالى يسر له ذلك، فالتقى بهم، وتحدث إليهم.. هذه من المعجزات التي لا نساويها بمقدرتنا نحن››

قال هاشم:

- ‹‹وهل يملكون أن يؤذوننا؟››

أومأ الشيخ جواد وقال:

- ‹‹نعم، يملكون.. هم كالبشر في إدراكهم وعقولهم، يدركون ويعقلون، لكن عقولهم أصغر من عقولنا، وحدود قدراتهم العقلية مثل حدود قدرات طفل منا.. لكنهم مع ذلك مُكلَّفون كما أننا مكلفون.. ومأمورون بالخير ومنهيون عن الشر، تماماً كالإنسان.. فأنت ترى من الإنس من فيه خير وآخر من فيه شر.. وعالم الجن كذلك يحوي من هم خيرون وآخرون شريرون.. لذلك إن شاء جنيٌّ أن يؤذيك فإنه يؤذيك، غير أننا نحفظ أنفسنا بذكر الله.. فإذا ذكرنا الله حفظتنا الملائكة منهم››

قبَّل هاشم رأس الشيخ جواد وقال له:

- ‹‹بارك الله في علمك يا شيخ.. واعذرني أن قطعت عليك خلوتك››

عاد الشيخ جواد إلى ورده، في حين رجع هاشم إلى منزله..

جاءه اتصال عبر ساعته، فلما أجاب على الاتصال، سمع صوت جعفر يحدثه:

ـ ‹‹أخبرتنا أن لدينا مهمة أيها القائد.. أنا و عنادل جاهزان.. أين أنت؟››

ابتسم هاشم وهو يجيبه:

ـ ‹‹سننفذ المهمة بإذن الله اليوم الظهر.. اعذراني، لم أنم طيلة الليل.. سأحتاج إلى ذهني وقوتي في أوجهما.. لا بد أن أنام، والظهر سنبدأ المهمة››

أنهى هاشم اتصاله، ورمى جسده على السرير..

كان عقله صافياً تماماً، ولم يدر بنفسه إلاَّ والنوم يغني في أذنه أجمل الألحان.

❋❋❋

‹‹ها قد التقينا من جديد عزيزتي››

اكفهرَّ وجه سديم وهي ترى جعفر يقترب منها.. انشغلت بتعديل مكياجها وهي تنظر إلى نفسها عبر مرآتها الصغيرة، مشيحة بوجهها عنه، ثم جعلت تنظر إلى ساعتها تارة، وإلى الطريق تارة أخرى..

وقف جعفر قبالة وجهها، وابتسم قائلاً:

- ‹‹سيكون الروامح أجمل فريق أعمل فيه طيلة حياتي يا عزيزتي››

تأففت وقالت في ضيق:

- ‹‹لقد اتفقنا أن نلغي كلمة ‹عزيزتي› هذه من خطابك لي.. نحن زميلا عمل فقط، وأنا لم أنضم إلى فريق الروامح رسميًّا بعد، وربما لن أفعل أبداً.. لستُ صديقتك، ولم أتودد لك يوماً؛ لذا حاول أن تتعامل معي برسمية أكثر إن تكرمت أيها الملازم››

حكَّ جعفر ذقنه وقال:

- ‹‹أحقًّا عزيزتي؟!.. نحن اتفقنا على أن نلغي كلمة ‹عزيزتي› في خطاباتي لك يا عزيزتي؟.. لا أذكر أنني وقَّعتُ على هذا الاتفاق من قبل يا عزيزتي؟.. هل من شهود على هذا الاتفاق يا عزيزتي؟.. على الأقل الوثيقة، أين وثيقة الاتفاق يا عزيزتي؟››

صرخت في وجهه في عصبية:

- ‹‹أسلوبك مستفز أيها الملازم.. أنت بكلامك هذا تقلل من احترامك لي، وبالتالي لا تلمني أبداً إذا قللت من احترامي لك.. علينا أن نحترم بعضنا البعض حتى يسير العمل بتوافق أكثر..

أنت لا تساعدني أبداً على أن أعتبرك زميلاً››

ابتسم جعفر وقال:

- ‹‹صدقيني.. أقسم لك.. إنها المرة الأولى التي أرى فيها زهرة غاضبة.. ابتسمي يا عزيزتي، ولا تأخذي كلامي أكثر مما يحتمل.. أقلل احترامي لك؟!.. مستحيل!.. أنا أتودد إليك لا أكثر.. أنت فاتنة وقد أسرتِ فؤادي.. دعيني أكن صريحاً معك عزيزتي.. أنا قبل أن أراك كنت أضع مقاييس خاصة لجمال المرأة، لكنني الآن غيرت كل معايير الجمال التي أعرفها.. وجهك، ملامحك، ابتسامتك، حتى غضبك.. هنا يمكننا أن نتحدث عن الجمال والفتنة، أما ما سوى ذلك فقد فَقَدَ كل معناه الجمالي في مقاييسي.. جميلتي، أنا لا أقلل احترامي لك مطلقاً، كل ما أفعله أنني أحاول أن أتقرب منك››

لم تخفت عصبيتها وهي تصيح:

- ‹‹أنت سطحي في تفكيرك أيها الملازم، هل كنت تعلم هذا؟.. من يتعامل مع النساء بمقاييس الجمال فحسب إنما هو رجل سطحي.. المرأة عقل لا جسد فقط››

انحنى جعفر نصف انحناءة وقال:

- ‹‹وأنا أقدِّر عقل المرأة.. لكن للجمال صوته كذلك.. صدقيني، أنا أوفق بين الاثنين.. حاولي أن تتقربي إليَّ أكثر وسوف تتعرفي على أعظم رجل في العالم.. أنا بين يديك، خذيني واستكشفي ما بدا لك فيني››

فتحت سديم فمها تريد أن تقول شيئاً عصبيًّا آخر، لكن عنادل اقتربت منهما، فتنهدت في ارتياح، وأسرعت تستقبلها..

‹‹أهلاً دكتورة عنادل.. الحمد لله أنك جئت.. لقد كدت أختنق››

ضحكت عنادل وقالت:

- ‹‹تجلسين مع هذا الأخ الذي يقطر فمه غباراً، ولا تريدين

أن تختنقي؟.. اسأليني أنا، لقد استنشقت الكثير من غبار كلامه حتى أصابني الربو.. أكاد أجزم أنه لا يحتمل نفسه بنفسه، فكيف بنا نحن نحتمله؟››

عقد جعفر ذراعيه على صدره وقال:

ـ ‹‹كانت العصافير تغرِّد قبل قليل، ما الذي جاء بالغربان لتنعق الآن؟››

أجابته عنادل:

ـ ‹‹ما أعرفه أن (عنادل) جمع (عندليب).. والعندليب ليس غراباً حسب علمي.. لكن دعنا ننظر إلى اسم (جعفر) ما معناه؟››

أجابها جعفر:

ـ ‹‹النهر.. الجعفر هو النهر.. إنه الجمال، الطبيعة، الصوت الرقراق للماء.. إنه حيث تتجمع العنادل تطلب الماء لترتوي.. من دون الجعفر تموت العنادل.. أليس كذلك يا عزيزتي سديم؟››

أشاحت سديم بوجهها عنه، في حين ضحكت عنادل وقالت:

ـ ‹‹حقًّا؟!.. الجعفر معناه النهر؟.. لم أكن أعلم هذا.. حسناً، في المعاجم الجعفر هو النهر، ولكن ماذا عن الواقع؟.. بحسب مهمتنا السابقة في جبل فوجي بدا لي أن الجعفرة هو اسم مرادف للتهور.. هل أنا مخطئة يا متجعفر؟››

قالتها وعادت تضحك من جديد، حتى سديم ضحكت، أما جعفر فلم يجد ما يقوله، فأشاح بوجهه وهو يتمتم بكلمات غير واضحة..

هذه الفتاة المتعجرفة.. يجب أن يلقنها يوماً ما درساً لا ينمحي من ذاكرتها أبداً.

ضم قبضته وغمغم من بين أسنانه في عصبية:

ـ ‹‹فقط لو كنتِ رجلاً!››

‹‹ماذا قلت؟››

لكنه تجاهلها، واتجه يستقبل هاشم الذي اقترب منهم..

‹‹هيا أيها القائد، لنبدأ المهمة.. إن اللعب مع الجن أهون من اللعب مع الغربان الحمقاء ها هنا››

تطلع هاشم إلى وجهه الغاضب، ووجه عنادل الضاحك، قبل أن يقول وهو يبتسم:

- ‹‹الحمد لله، الأمور على ما يرام.. بما أن الوضع متكهرب بينكما كالعادة، فالفريق على ما يرام.. هيا إلى العمل››

صعدوا جميعاً إلى سيارة هاشم، التي انطلق بها وهو يخاطب سديم قائلاً:

- ‹‹لم يوافق مدير المركز على انضمامك إلى الفريق في الوقت الراهن آنسة سديم، ليس قبل عودة العقيد عدنان وموافقته على هذا الانتقال.. لكنني طلبت من المدير، كما تعلمين، أن تشاركيننا هذه المهمة، بحكم مشاركتك الأشاوس مهمتهم السابقة قبل سنتين هنا في الركن الأسود، وعليه أعتقد أننا سنستفيد منك كثيراً››

اتسعت ابتسامة جعفر وهو يقول:

- ‹‹من حسن حظنا أن المدير وافق على انضمامها إلينا في هذه المهمة، وأنا واثق أنها، عاجلاً أو آجلاً، ستنضم إلى فريقنا انضماماً رسميًّا››

قالت عنادل في ضيق:

- ‹‹هلاَّ أغلق أحدكم فم الذبابة التي تزنُّ في السيارة.. يا لها من مزعجة!››

ضحك جعفر وقال:

- ‹‹لقد صدقت نظريتي.. الغربان تسمع الأصوات فتحسبها ذباباً من شدة جوعها.. يا دكتورة عنادل، الزنين الذي تطلقه الذبابة لا يخرج من فمها، ولكن من جناحيها.. إلى متى نعلمك

أساسيات الحياة؟.. لا أعرف من أين تشترون شهادات الدكتوراة التي تتشدقون بها››

أنهى كلامه، ثم عاد يضحك بقوة من جديد..

تجهَّم وجه عنادل، وأرادت قول شيء ما، عندما أسرع هاشم يغير الموضوع:

ـ ‹‹آنسة سديم، هلاَّ حكيتِ لنا عن مهمتكم السابقة قبل عامين؟ ما الذي جرى بالضبط فيها؟››

هزت سديم كتفيها وقالت:

ـ ‹‹لا أعتقد أنني سأنفعكم في شيء أيها القائد.. العقيد عدنان هو الوحيد الذي قابل قبيلة الجن.. نحن كنا في الخارج نؤمِّن ظهره››

سألها هاشم:

ـ ‹‹تؤمنون ظهره مماذا؟››

عادت تهز كتفيها وقالت:

ـ ‹‹لا أدري.. هو أمرنا أن نؤمن له ظهره، ثم دخل وكر الجن››

قال هاشم في حسم:

ـ ‹‹هكذا لن نفهم شيئاً.. أخبرينا بكل شيء.. احكي لنا المهمة، ثم لننظر في الوضع من منظور أوضح››.

❋❋❋

‹‹ليست هناك حكاية للمهمة ولا قصة يا رفاق..

جرى الأمر سريعاً وانتهى أسرع مما بدأ به..

كان هذا قبل عامين كما بلغكم.. المهمة مبهمة تماماً، بلا أي معطيات سوى أن هناك كائنات حية تظهر في المدينة من حين

لآخر، لونها أسود، والكل يؤكد أنها الجن.. المهمة هي استقصاء الأمر وحل المسألة على وجه السرعة.

تسألوني عن الخطة المتبعة في هذه المهمة؟

بالتأكيد هناك خطة، فريق الأشاوس كما تعلمون هو الفريق الأول في مركز آفاق العلمي، ومثله لا يمشي من دون خطة..

لكننا نتحدث عن فريق يقوده العقيد عدنان.. أنتم تعرفون هذا المتعجرف الحقير، سبق أن تعاملتم معه في مهمتكم السابقة في اليابان.. هو قائد فريقنا، أنا أعترف بعبقريته ومواهبه التي لم أرَ لها مثيلاً، لكن هذا لا يمنع أنه متعجرف حقير.. كم أكرهه!

رجل بعبقريته لا يخطو خطوة من دون خطة بالطبع، لكنه يعمل بانفرادية، بحيث كل الأفكار أفكاره، وكل الأوامر أوامره، وكل الحركات والسكنات والهمسات تكون من طرفه هو، أما بقية أعضاء الفريق فمجرد أتباع، جنود، بيادق هو من يتحكم بهم، يسيّرهم يميناً ويساراً فيلتزمون بالطريق الذي يرسمه لهم..

هناك خطة بالتأكيد، لكنها خطة في عقله، لا يحق لنا معرفتها ما لم يشأ هو إخبارنا بها.. هكذا نسير خلفه كالعميان لا ندري وجهتنا، في حين مستمر هو في إلقاء أوامره علينا دون توضيح لما يرمي إليه أو ما هي خطته، ولا ما هي خطوته التالية.

‹‹ابقوا هنا.. سأدخل نطاق السياج الإشعاعي.. احموا ظهري››

قالها وانطلق يتجاوز السياج الإشعاعي في الركن الأسود.. نحن نملك صلاحية العبور في تلك اللحظة بالطبع، باعتبارنا مُكلفين بهذه المهمة..

سألته:

- ‹‹نحمي ظهرك من ماذا؟!››

إذ لم يظهر لنا أعداء، ولم نكن نواجه أي شيء في ذلك الوقت.. الخطر كله يكمن هناك، داخل الركن الأسود الذي يتجه

إليه..

نحمي ظهره من ماذا؟

لكنه بكل صفاقة تجاهل سؤالي.. أولانا ظهره، ودخل المنطقة المحرمة دون أي اعتبار لأعضاء الفريق خلفه..

‹‹عبقري هو قائدنا.. يجب أن نثق بكل حركاته وسكناته››

قالها عادل وهو يدخن سيجارته بشراهة كالعادة، في حين ضحك هيثم ساخراً وقال:

ـ ‹‹لعل لديه موعداً غراميًّا مع جنية سحرته هناك في الركن الأسود، ولا يريد منا أن نكشف أمريهما››

كم كنت أمقت عادل، ذلك الذي لم يكف عن تمجيد قائده لحظة واحدة!

كم كنت أنزعج من هيثم، ذلك الذي لم يكف عن السخرية من كل شيء لحظة واحدة!

كم كنت أكره عدنان، ذلك الذي لم يكف عن عجرفته وسخافته واحتقاره لنا لحظة واحدة!

كم كنت أكره الأشاوس!

كم كنت أكره نفسي أنني كنت معهم طيلة السنوات الماضية!

دخل القائد الركن الملعون، في حين بقينا نحن في الخارج ننتظره.. مضت ثلاث ساعات تقريباً، ونحن نتململ في مكاننا، قبل أن يظهر لنا قائدنا في حالة غريبة..

كانت ملامحه تحمل مشاعر مضطربة، شخصيًّا لم أفهمها.. هل كان خائفاً؟ هل كان حزيناً؟.. شيء من هذا وذاك لمحته في وجهه، لكن لم أستطع تحديد مشاعره بالضبط..

على أنه كان مرهقاً.. كان ينتفض.. عيناه كسيرتان، لم يسبق أن رأيناه بهذه الحالة من قبل.. حينما اقترب منا تطلع إلينا بعينين خاويتين، ووجه يتصبب عرقاً..

قال بصوت مرتجف:
ـ ‹‹تمت المهمة بنجاح.. لنعد››
لكنه لم يلبث أن سقط بين أقدامنا مغشيًّا عليه.
أخذناه إلى السيارة، وعدنا به إلى مبنى المركز.. في الطريق كان يهذي، يذكر الجن والظلام وأشياء لم نستوعبها.. أذكر أنه في هذيانه كان يصف نفسه بين الحين والآخر أنه قد أصبح أسود، أصبح ملعوناً، أصبح فرداً من أفراد الجن.
كان يهذي!
عندما التقينا به فيما بعد، كان قد عاد إلى طبيعته.. أخبرنا أنه التقى هناك بقبيلة من الجن، وأنه اتفق معهم أن يتركوننا بحالنا، وأننا لن نزعجهم ثانية.. لم يفصح عن شيء آخر، ولم يحوِ تقريره الرسمي على تفاصيل أكثر.
حينما تتعامل مع رجل حقير متعجرف كالعقيد عدنان، ستلاحظ أن هذا السلوك طبيعيٌّ تماماً››.

❋❋❋

ترجَّل هاشم من سيارته، وضع السواك في فمه، وتطلَّع إلى المكان من حوله..
كانت أرضاً مقفرة، لم تمسسها يد البشر إلاَّ قليلاً.. لا يوجد معلم من معالم العمران، والأرض تحتهم كانت قاع بحر، كل ما تغير فيه أنه حُرم من الماء.. الطين ناعم، والحجارة المكسوة بالحيوانات البحرية الميتة تنتشر في كل مكان.. وعلى الأرض تتناثر الكثير من المحار والشعب المرجانية..
لقد أهلموا هذه المنطقة من المدينة حتى أنهم لم ينظفوها من مخلفات البحر.. إن المكان بطريقة ما يثير الرهبة في القلوب، اسم الركن الأسود بدا لائقاً تماماً لهذا المكان، خاصة مع السياج

الإشعاعي الذي كان يحيط بالمنطقة، بنفسجي اللون كان وباهتاً.. لكن الروامح كانوا يملكون التصريح للمرور من خلاله دون أن تؤذيهم.

بدأ هاشم يحك جبهته.. ما هذا الألم الذي يعتريه؟.. طفيف، لكنه مزعج!

‹‹لقد حان وقت صلاة العصر››

قالها جعفر وهو يترجَّل بدوره من السيارة.. بعد الصلاة أشارت سديم إلى منطقة بعيدة نسبيًّا وقالت:

- ‹‹هناك، على بعد مئة متر تقريباً، بدأت مهمتنا قبل عامين، عند تلك الشعب المرجانية الميتة››

قال هاشم وهو يدعك عينيه:

- ‹‹لا فرق بين هنا وهناك.. نحن سنبدأ مهمتنا من هذه المنطقة››

تساءلت عنادل:

- ‹‹هل سنجتاز السياج الإشعاعي وندخل الركن الأسود الآن، أم ننتظر لندرس المنطقة أولاً؟››

أجابها جعفر بتهكم:

- ‹‹من الغباء يا زميلتي النبيهة أن ندخل الركن ثم ندرسه.. كل عاقل يعلم أن دراسة الأمور تأتي أولاً، ثم يلي ذلك التنفيذ››

نظرت إليه عنادل في عصبية، وقالت:

- ‹‹أنا لم أسألك أيها الوقح، بل سألت القائد.. ثم إن السياج الإشعاعي يمنع أجهزتنا من رصد الذبذبات الصادرة من داخل الركن.. العقل الذي لا تملكه أنت يقول أنه علينا اجتياز السياج أولاً، ثم نبدأ الـ...››

‹‹كفى!››

صرخ هاشم بالكلمة في صرامة غريبة، سقط سواكه على

الأرض وهو يمسك صدغيه بقوة..

‹‹صداع.. صداع شديد››

التفتت عنادل إلى جعفر وصرخت به:

- ‹‹انظر ماذا فعلت بثرثرتك.. لقد أثرت صداعاً في رأس قائدنا››

لوح جعفر بقبضته في وجهها وهتف:

- ‹‹بل أنت الحمقاء التي تلقي أسئلة غبية.. سؤالك كان سخيفاً لدرجة أنه سبب له هذا الصداع››

‹‹كفى كلاكما››

هذه المرة قاطعتهما سديم، التي اتجهت إلى هاشم، أمسكت كتفيه وسألته في قلق:

- ‹‹ماذا هناك أيها القائد؟››

ضغط هاشم على صدغيه بقوة أكبر وقال:

- ‹‹لا أدري.. كان الأمر مجرد ألم طفيف، بدأ يكبر فأصبح مزعجاً.. الآن هناك طنين شديد يكاد يفجر لي رأسي.. صداع مؤلم.. مؤلم››

بدأت تدلِّك له جانبي رقبته وهي تقول له:

- ‹‹لعل السبب قلة النوم، أو كثرة التفكير الذي يؤدي إلى الإرهاق.. استرخ.. اجلس على الأرض.. خذ نفساً عميقاً ثم ازفره.. حاول الاسترخاء بقدر استطاعتك››

أخرجت من حقيبتها اليدوية زجاجة عطر، بدأت ترش محتواها على صدر هاشم..

‹‹تغيير الجو يساعد على الاسترخاء وتخفيف حدة الصداع، خذ نفساً عميقاً واستنشق هذا العطر.. إن رائحته زكية وستروّح عن عقلك››

كان هاشم يحاول الاسترخاء فعلاً.. قعد على الأرض، وبدأ يأخذ نفساً عميقاً ويطلقه، لكن الصداع كان يزداد حدَّة أكثر

فأكثر..

هتفت سديم:

- ‹‹جعفر.. أحضر كأس ماء من السيارة وامسح به جبهته.. هذا سيحرك الدورة الدموية في رأسه، ولسوف يريحه بإذن الله››

أسرع جعفر ينفذ ما قالته، وهو يقول:

- ‹‹أنت تأمرين عزيزتي››

بينما كان جعفر يدلِّك جبهة هاشم بالماء، كان ذلك الأخير يتصبب عرقاً غزيراً، وألمه يزداد أكثر فأكثر.. أطلق صرخة قوية مفاجئة، ثم تراخى جسده تماماً..

هتفت عنادل في ذعر:

- ‹‹مـ.. ماذا جرى له؟››

أجابتها سديم وهي تريح رأس هاشم على الطين الناعم:

- ‹‹لقد فقد وعيه.. لم يحتمل شدة الألم.. لنتركه يرتاح قليلاً››

قال جعفر في توتر:

- ‹‹لا أظن الأمر يتعلق بالإجهاد العضلي أو العقلي.. إن ما جرى له أمر ليس طبيعيًّا››

لم تجد سديم ما تقوله له، فلاذت بالصمت.. لكنها في قرارة نفسها كانت تدرك أن ما قاله جعفر كان حقيقيًّا..

هذه الأعراض ليست طبيعية تماماً.. لقد كان هاشم سليماً تماماً منذ لحظات!

تلفتت عنادل حولها في تحفز، وقالت في شيء من العصبية:

- ‹‹هل تعتقدان أنها الجن؟.. هي من فعلت هذا به؟››

ارتجفت شفتا سديم وهي تردد:

- ‹‹الجن؟!››

لطالما أرعبتها فكرة الحديث عن الجن.. حينما كانت في

صباها كان إخوتها الذكور يتحدثون عن الجن، ويتفننون في سرد حكاياتها، وكانت هي تصرخ فزعة وتخرج من الغرفة تبكي..

الآن هي تعيش للمرة الثانية جوًّا مفعماً برائحة الجن.. هذه المرة تبدو المواجهة أكبرَ مباشرةً من السابقة.

استلَّ جعفر مسدسه الليزر وصرخ:

ـ ‹‹لن أسمح لهم أن يمسوا شعرة واحدة من جسده.. سأقتلهم أولاً قبل أن يفعلوا››

أسرعت عنادل إلى السيارة وهي تقول:

ـ ‹‹لنحاول رصدهم أولاً، ثم لنفكر كيف نواجههم››

كان هاشم قد حدثها سابقاً عن كينونة الجن التي تعتمد على الذبذبات غير المرئية.. عنادل خبيرة في مجال الفيزياء، وتعلم جيداً أنه يمكن رؤية الأشعة غير المرئية عن طريق بعض الأجهزة، وهناك كذلك أجهزة تملك القدرة على التقاط الذبذبات الصوتية التي تعجز آذاننا على سماعها..

المسألة تعتمد على القدرات البصرية والسمعية، وهذه الأجهزة تملك ما لا تملكه أعيننا.

بين يديها الآن جهاز حديث متطور يمكنه رؤية مثل تلك الأمور وسماعها.. ترى هل ستتمكن من رصد الجن؟!

تساءلت سديم:

ـ ‹‹وبعد رصدهم إذا رصدناهم، هل سنهاجمهم بأشعة الليزر؟ أنتم فريق علمي والمفترض أن تتهيؤوا بخطة محكمة إزاء هذه المواجهة››

كانت عنادل تعالج جهازها بمهارة وهي تجيب:

ـ ‹‹نحن لا نعرف الكثير عن الجن.. رصدنا لهم سيتيح لنا معرفة شيء عنهم.. أعقد ما في الأمر أننا لا نريد القضاء عليهم، من ذا الذي يسعى للقضاء على الجن؟.. لكننا نحاول

معرفة سبب هذه الفوضى التي يثيرونها.. بحسب ما قاله لي قائدنا هاشم، إننا نسعى لمقابلتهم والتفاوض معهم.. قتالنا إياهم ليس حلاً ولن يفيدنا في شيء.. نحن نتحدث عن مخلوقات تمتلك قدرات هائلة.. تغوص في المحيطات، وتطير حتى تصل إلى الفضاء، بل إلى السماء ذاتها.. لا يوجد حاجز يمنعها من الوصول إلينا.. إنها تسير بسرعة تفوق سرعة الضوء ذاته، مخلوقات مثل هذه كيف نسعى لمحاربتها.. هدفنا ليس قتالها، بل التفاوض معها››

هتفت سديم مستنكرة:

- ‹‹الجن تنطلق أسرع من الضوء ذاته؟››

كانت عنادل مندمجة تماماً مع جهازها تحاول تجهيزه، وهي تجيب:

- ‹‹بالتأكيد.. إنها تصل إلى السماء في مدة محدودة.. نحن بحاجة إلى سنة كاملة للوصول إلى جرم قريب في الفضاء يبعد عنا سنة ضوئية واحدة، هذا إذا كنا نملك القدرة على أن ننطلق بسرعة الضوء.. الجن أسرع من سرعة الضوء ذاته.. لقد أحضر أحد الجن عرش بلقيس من اليمن إلى الملك سليمان قبل أن يرتد إليه طرفه.. نعم هناك اختلاف في تفسير الآية من أحضر العرش، لكن هل تعلمين ما معنى قبل أن يرتد إليه طرفه؟.. نحن لا نبالغ إذا تحدثنا عن سرعة الجن أنها تفوق سرعة الضوء ذاتها بأضعاف أضعافها.. هناك حديث نبوي يصف فيه الرسولُ الكريم الجنَّ أنها [ريح هفافة]، الريح الهفافة هي الريح السريعة.. وصف السرعة هنا لم يأت عبثاً.. ثم إننا لو وافقنا نظرية أن الجن عبارة عن ترددات كهرومغناطيسية، فلا تنسي أن الضوء يقع ضمن المجال الكهرومغناطيسي، وبذلك تكون سرعة الجن من سرعة الضوء ذاته››

أُلجمت سديم ولم تجد أن تقوله سوى أن تضع يديها على فمها تمنع نفسها من أن تعبر عن خوفها..

كيف يمكن مواجهة مخلوقات تتحرك بسرعة الضوء؟

هتفت عنادل فجأة:

- ‹‹انتهيت››

لم تتكلم سديم وهي تتابع عنادل تعمل بكل براعة، تحاول البحث عن ترددات أي ذبذبة غريبة قد تحيط بهم..

صمت الجميع.. عنادل تعمل على جهازها، سديم تتابعها، وجعفر متأهب بسلاحه يراقب الوضع من حولهم في ترقب، علَّه يلمح شيئاً مريباً.

مضت فترة صمت طويلة، القلوب تخفق في ترقب، والحواس تعمل بأقصى طاقاتها، قبل أن تغمغم عنادل بصوت خافت:

- ‹‹هناك شيء ما››

لفتت الكلمة انتباه جعفر الذي التفت إليها دون أن يقترب، في حين جلست سديم بقربها، وتساءلت في قلق:

- ‹‹ماذا هناك؟››

أشارت عنادل إلى شاشة جهازها وقالت:

- ‹‹ثمة بقعة ضوء باهتة، لم تكن موجودة سابقاً.. ولو أرهفت سمعك، ستسمعين صوتاً خافتاً، لا يكاد يُسمع››

كانت عنادل على حق، هناك بقعة ضوء باهتة على الشاشة، وثمة صوت خافت يصدر عن الجهاز..

أرادت سديم أن تقول كلمة ما، لكن عنادل هتفت فجأة:

- ‹‹الأمر يتطور››

كانت بقعة الضوء في الشاشة تزداد تألقاً، في حين كان الصوت الصادر يتضح أكثر فأكثر، حتى أن جعفر بدأ يسمعه من مكانه..

تساءلت سديم في رهبة:

- ‹‹ما معنى هذا؟››

لكن عنادل لم تجبها، بل سارعت تحاول ضبط إعدادات جهازها، غير أن الضوء زاد تألقاً أكثر فأكثر، ومع ازدياد تألق الضوء كان الصوت يزداد علوًّا..

عنادل تضغط على الأزرار في الشاشة بسرعة وعصبية وهي تقول:

- ‹‹سحقاً!.. ما الذي يجري هنا؟››

خفق قلب سديم في عنف دون أن تفهم شيئاً، في حين استعار جعفر سؤالها وهتف به:

- ‹‹ما الذي يجري؟››

أجابته عنادل في انفعال:

- ‹‹الشاشة لا تستجيب.. بقعة الضوء تزداد تألقاً، أحاول تخفيف إضاءة الشاشة كي تتضح لي معالمها، لكن الإضاءة تزداد والشاشة لا تستجيب.. نفس الحالة لدى سماعة الجهاز، أحاول خفض حدة الصوت، لكن الصوت يزداد.. هل الجهاز لا يعمل، أم أن الضوء والصوت يزدادان بطريقة غير منطقية؟!››

تراجعت سديم عن الجهاز وهي ترتجف ذعراً، في حين انقبضت عضلات جعفر وهو ممسك بسلاحه في تحفز، أما عنادل فقد ازدادت توتراً وهي تضغط أزرار جهازها وتهتف:

- ‹‹سحقاً! سحقاً!.. الجهاز يكتسب حرارة.. ملامسة الأزرار تحرق أصابعي››

ثم رمت الجهاز بعيداً عنها.. الإضاءة تزداد تألقاً من الجهاز حتى أصبحت رؤيته مؤلمة للعينين، والصوت ازداد ارتفاعاً، أمسك معه الفريق آذانهم ألماً..

صرخ جعفر: ‹‹أوقفوا هذا الصوت أو أفجره بمسدسي هذا››

هتفت عنادل في عصبية: ‹‹لا تفعل أيها الأحمق.. هذا الجهاز كلفنا الكثير حتى حصلنا عليه››

صرخت سديم وهي تمسك بأذنيها في ألم عنيف:

- ‹‹لكن الصوت مؤلم.. ستنفجر طبلة أذني.. ليتصرف أحدكما.. سنصاب بالصمم إذا استمر الوضع طويلاً››

صوَّب جعفر مسدسه الليزر نحو الجهاز وهو يقول:

- ‹‹لا تقلقي يا عزيزتي، سأخلصك منه››

صرخت عنادل في ذعر:

- ‹‹لا يا مجنون، لا تفعل.. سأقتلك إن فعلت››

لكنه تجاهلها تماماً، وكاد يضغط على زناد مسدسه فعلاً، لولا أنَّ الجهاز سبقه، وانفجر من تلقاء نفسه قبل أن يضغط جعفر زناده..

ساد الهدوء فجأة، وخفتت إضاءة الجهاز.

لكن عنادل كانت في قمة غضبها..

‹‹أيها الحقير.. كيف فعلتها؟››

أجابها جعفر:

- ‹‹لست أنا من فجر الجهاز.. جهازك الخردة هذا لم يحتمل، فانفجر من تلقاء نفسه››

صرخت في وجهه:

- ‹‹أعلم ذلك.. أنا ألومك أنك قد هممت بتحطيمه.. نيتك الخبيثة هذه كافية كي أفنيك من الوجود››

شمَّرت عن ساعديها وهتفت:

- ‹‹هيا بارزني.. لم أستخدم مهارتي في القتال منذ فترة طويلة.. اقترب كي ألقنك درساً لن تنساه أبداً››

شمَّر جعفر عن ساعديه بدوره وهتف في عصبية مماثلة:

- ‹‹هيا إذن، ما دام الأمر هكذا، فإني سأتنازل عن مبدئي في عدم قتال النساء، ولسوف أقاتلك يا سليطة اللسان››

كاد يقترب منها فعلاً، لولا أن هتفت سديم فجأة:
- ‹‹أين القائد؟››
تلفتا حولهما، لكن هاشم لم يكن يرقد حيث وُضع منذ قليل..
هتف جعفر في غضب:
- ‹‹الحقراء.. لقد أخذوه.. اختطفه الجن››
متوترة قالت عنادل:
- ‹‹كما قلت لكما، إنها تتحرك أسرع من سرعة الضوء.. الأمر طبيعي أن يقتربوا منا ويختطفوه دون أن ننتبه››
ثم أشارت إلى حطام جهازها وقالت:
- ‹‹لا أدري، هل رصد جهازي ذبذباتهم فلم يحتملها، أم أنهم شوشوا على الجهاز بذبذبات مضادة أتلفته؟››
قالت سديم وهي ترتجف:
- ‹‹الجن لا يملكون تقنيات لإرسال ذبذبات مضادة.. أرجّح أن الجهاز التقط ذبذباتهم.. إن الله أخفاهم عن أبصارنا لحكمة ربانية، طلعُ شجرة الزقوم تشبه رؤوسهم.. النظر إليهم نوع من العذاب، لم يحتمل الجهاز رؤيتهم، فكيف بنا؟››
شهر جعفر مسدسه ناحية السياج الإشعاعي وهتف:
- ‹‹لقد تجاوزوا حدودهم.. بمجرد خطفهم للقائد هذا معناه إعلان الحرب.. سوف يندمون على هذا››
قالها واجتاز السياج الإشعاعي، ولم تجد عنادل وسديم إلاَّ أن تتبعاه، واجتازتا خلفه السياج ليدخلا المنطقة المحرمة للركن الأسود الملعون.
أشارت عنادل إلى جهةٍ ما وقال:
- ‹‹مصدر الضوء والصوت الذي رصده جهازي قبل أن يتحطم كان هناك.. أظن أن ذلك المكان هو بؤرة تواجد الجن.. لعل هناك بوابة ما تقود إليهم››

بكل ثبات اتجه جعفر إلى الجهة التي أشارت إليها عنادل، وقال في حزم:

- ‹‹هيا بنا إذن››

لكن سديم صرخت فجأة:

- ‹‹انتبه!››

التفت جعفر سريعاً، فإذا بأفعى، لا أحد يدري من أين ظهرت، تقفز نحوه في سرعة شاهرة نحوه نابيها.. مال بجذعه سريعاً وتفادى انقضاضتها..

استقرت الأفعى على الأرض، وسكنت فترة تنظر إليهم في شراسة..

لقد كانت أفعى سوداء اللون تماماً.

تحفز جعفر لمواجهة الأفعى وهو يتمتم:

- ‹‹إذن لقد قررتم الصراع المباشر؟.. هذا جميل.. مواجهة الخصوم تخصصي››

قالت عنادل في توتر:

- ‹‹الأمر أكثر خطورة من ذلك يا جعفر››

التفت إليها مستفسراً، فأتاه الجواب من سديم تشير إلى ما حولهم وتقول بصوت مرتجف:

- ‹‹إننا محاصرون››

لقد كانت على حق..

فمن الجهات الأربع، كانت هناك عشرات الحيوانات، مختلفة الأنواع والأجناس، تحيط بهم إحاطة الموت بشواهد القبور..

حيوانات تبدو الشراسة من عيونها..

حيوانات سوداء اللون.

❋❋❋

6. في قبضةٍ سوداء

هو اللا لون ..

حينما تغيب الألوان يأتي اللون الأسود، ويحل الظلام، وتغيب الأشياء عن الوجود..

يسمونه ملك الألوان؛ وذلك أنه موجود في كل مكان.. حينما نطبع الكتب نستخدم الحبر الأسود، حينما نصنع إطارات السيارات نصنعها سوداء، وحينما نريد التفكير والتركيز، نلجأ إلى السواد الموجود خلف أجفاننا، ينتشلنا من لجة هذا العالم المضيء ..

الإسفلت أسود، والظلال سوداء، والنظارات الشمسية لونها سوداء، والغراب الذي علمنا كيف نواري سوءاتنا أسود اللون.

ومع ذلك عُرف اللون الأسود أنه لون الموت، لون الشر، لون الظلام، لون الشيطان نفسه..

انظر في الشتائم، حينما يشتم أحدنا الآخر يقول له: ‹سوَّد الله وجهك›.. أحياناً ينعته بالزفت، والزفت من مخلفات المواد القطرانية، ولونه أسود.

اللصوص يرتدون الملابس السوداء، والقراصنة يرفعون أعلاماً سوداء، والإيمو يرتدون السواد ويلطخون أجسادهم بالسواد.

في بعض المعتقدات يرسمون الموت رجلاً أسود يرتدي حرملة سوداء، وفي معتقدات أخرى يرتدي الناسُ السوادَ عند الحزن والجنائز، وهناك من إذا مات لديهم ميتٌ وضعوا شريطاً أسود على صورته، وفي أفريقيا يطلقون على نوع من السحر الشديد اسم السحر الأسود..

ونجد في الإسلام أن المؤمن إذا أذنب كانت له نكتة سوداء في قلبه حتى يتوب فتُمحى، والحجر الأسود حجر من الجنة صار أسود اللون بسبب ذنوب البشر الذين يقبّلونه؛ وكأنَّ الذنوب لونها أسود.

وجهنم سوداء اللون، وأهل النار يحترقون فيصير لونهم أسود..

وفي الحديث أنَّ الكلب الأسود شيطان؛ على اختلاف تفسير العلماء لهذا الحديث، إن كان شيطاناً على حقيقته، أو أنه شيطان بسبب شدة وحشيته.

المعادن اللامعة تكون جميلة، حتى إذا ما صدأت صارت سوداء.. وذاكرة الإنسان نافعة، حتى إذا اختبأت خلف المنطقة السوداء أصبح الأمر سيئاً على الغالب.. والأسنان براقة ببياضها، فإذا أصابها التسوس أظلمت باللون الأسود وبدأ الألم..

نحن نُبرز الوحوش في أفلام الرعب سوداً، ونطلق على نوع من العناكب القاتلة اسم الأرملة السوداء، ونضع الأشياء السيئة في قائمة نطلق عليها اسم القائمة السوداء، ونسمِّي بحر البنطس اسم البحر الأسود؛ لصعوبة الملاحة فيه مع ارتفاع أمواجه وكثرة أعاصيره.

وحينما ظهرت مشكلة هذا الركن من مدينة آفاق، أطلق عليه المسؤولون اسم الركن الأسود، فلمَّا استعاد هاشم وعيه، أدرك مدى ترابط الاسم مع الحقيقة السوداء التي كانت تحيط به..

مكان أسود كهذا لا يوحي إلاَّ أنه انتقل بطريقة ما إلى داخل الركن الملعون الأسود، حيث وكر الجن أنفسهم.

فتح عينيه، وتطلع إلى ما حوله.. كل ما حوله كان أسود؛ الجدران، الحجارة، الأثاث البسيط البدائي.. هناك نيران تتألق في كل مكان، لكن الشمعدانات التي تحملها كانت سوداء اللون..

حتى تلك المخلوقة التي كانت تجلس على مسافة منه كانت

سوداء؛ ملابسها سوداء، والحليُّ على جسدها سوداء، بل ونظراتها كذلك كانت ـ إن صح لنا أن نقول ـ سوداء.

انتصب هاشم جالساً من رقدته، ينظر إليها في تحفز.. كانت تجلس على كرسي بدائي جدًّا؛ صخرة متوسطة الحجم، يعلوها لوح من خشب عريض، وخلفها تجويف صخري أشبه بالمحراب، يعطيها هالة من السيادة..

‹‹عمت مساءً يا أيها الإنسي››

قالتها المخلوقة مبتسمة، وتردد مع صوتها صدى عجيب، لعله صدى أسود بدوره..

‹‹هل أنتم قبيلة من الجن حقًّا؟››

سألها، فاستغرب أن صوته لم يتبعه أي صدى كما في صوتها!

أجابته:

ـ ‹‹أَوَيُشْجِنُكَ أننا نفرٌ من الجن؟››

من الواضح أن الصدى في صوتها طبيعي، لا يعتمد على المكان، أما صوته فلا صدى فيه..

لا يوجد حرَّاسٌ حولها.. ما حاجتها إلى حرَّاس وهي الجنية القادرة على فعل أي شيء، أمام الإنسيّ العاجز عن فعل شيء؟!

يشحنك؟ هي تستخدم مفردات قديمة!

‹‹بل يُشحنني ما تفعلونه بنا في مدينتنا من فساد وإقلاق لقاطنيها.. هلاَّ أوضحتِ لي سر ما تفعلونه بنا؟››

ظهر الغضب (غضب لونه أسود) على ملامحها وهي تهتف:

ـ ‹‹لا تكن شُنانةً تمطرنا بوبيل اتهاماتك.. هي جريرتكم أنتم لا نحن.. هذه أرضنا، ونحن عمرناها قبلكم.. أنتم تعديتم ثغورنا وتجرأتم علينا.. لأعلثنَّ زندك من لحمك إن زدت في اتهامك

هذا.. نحن قومٌ عُلُجٌ لا نلين لمن يعادينا››

لا تبدو هذه الجنية أنها من النوع الودود، من السهل أن تأكلك إن حككتَ أنفك دون إذنها.. يجب أن يكون أكثر حكمة في حواره معها..

بحث عن سواكه فلم يجده، لقد سقط منه هناك، خارج نطاق الركن الأسود، حين داهمه الصداع..

قال:

‹‹كنا نعيش في سلام معكم في البداية.. ما الذي جرى في الآونة الأخيرة حتى بدأتم تثيرون إزعاج قاطني مدينتنا.. أنتم تملكون من القدرات ما يمكنكم به طردنا من هنا، لكنكم لم تؤذوننا حتى وقت متأخر.. هل من الممكن أن أعرف السبب؟››

تراجعت بجلستها إلى الخلف، وخرجت من جانبها أفعى كوبرا، أصدرت فحيحاً مخيفاً، لكن الجنية بدأت تمسح برأس أفعاها وتهدئها وهي تقول في هدوء:

ـ ‹‹ثَمَّة أُقصوصة لهذا.. أأقصُّها عليك؟››

‹‹كلِّي آذان صاغية››

بدأت الجنية تداعب رأس أفعاها..

‹‹أنا اسمي مرجانة.. ملكة الجن في هذه المنطقة››

فحَّت الأفعى، وبدأت مرجانة تحكي..

❋❋❋

لن نترك المجال لمرجانة كي تحكي ما حدث، فلغتها صعبة نوعاً ما، وصوتها الممزوج بالصدى مزعج بعض الشيء..

اسمها مرجانة، وهي ملكة الجن في هذه المنطقة..

كانت منطقة هادئة تماماً، سكنتها الجن منذ أمد بعيد.. مساحتها محدودة، لكن منذ متى المساحة المحدودة تحدُّ من

تواجد الجن؟.. إن كينونتهم تختلف عن كينونتنا، ويمكنهم التأقلم في أي مساحة ممكنة.. هناك قصص كثيرة عن أن الملك سليمان كان يحبس الجن في مصابيح صغيرة، رغم أنهم من المردة الذين يكونون غالباً ضخام الجثة؛ يحبسهم عليه السلام عقاباً لهم، بحيث لا يخرجون منها إلاَّ بعد مئات، وربما ألوف السنين.. يقول تعالى: ﴿والشياطينَ كلَّ بنَّاءٍ وغوَّاص * وآخرين مقرَّنين في الأصفاد﴾.. وحينما اجتمع نفرٌ من الجن حول رسول الله يستمعون إلى قراءته للقرآن، كانوا بالملايين، قد اجتمعوا في صعيد واحد..

المساحة لا تحدهم أبداً!

هكذا سكنوا هذه المنطقة المحدودة، في هذا الركن الأسود؛ كما أُطلق عليه.. منطقة بالنسبة لهم قمة في الهدوء، وكانوا منسجمين فيها تماماً..

لم يزعجهم إلاَّ وفود مجموعة من البشر، قرروا على حين غرَّة أن يؤسسوا هذه الأرض لكي تكون مدينة تحت الأعماق.. ألا تكفيهم مساحات الدنيا على سطح الأرض، حتى يأتوا الآن وينازعوننا على هذه البقعة الصغيرة؟!

لكن قبيلة الجن لم تتدخل في عمل الإنس، وتركوهم يعملون وينشئون مدينتهم على النحو الذي يريدون.. المشكلة بدأت عندما اقترب الإنسان من مكمن الجن بطريقة مباشرة، وبدأوا يعملون في ذات البقعة التي يسكنها الجن..

هنا استفحل الأمر، وقررت الجن طرد الإنس من المكان..

بدأت حوادث الاختفاءات لمعدات ثقيلة وخفيفة تكثر.. رجال آليون، وغواصات، وشاحنات مائية، والكثير مما كان الإنس يعتمدون عليها في إنشاء المدينة.. بعض الجن ظهروا عياناً، على هيئة أشباح، لبعض العمال حتى يخيفونهم..

أثار الجن خوفاً وذعراً عنيفين في المنطقة، مما جعل العمل يتوقف فترة طويلة، عاد الهدوء من جديد إلى المنطقة، وهنأ الجن بفترة راحة من البشر المزعجين.

بعد ذلك بدأت تحضر وفود قليلة من الناس، هم علماء يحققون في المسألة، يحاولون كشف الملابسات الحاصلة.. لكن الجن لم يتركوهم، وبدأوا يزعجوهم من جديد، حتى تيقن العلماء أن ما يجري هو من فعل الجن فعلاً، ومنذ ذلك اليوم أطلق الإنس على المنطقة اسم (الركن الأسود).

لم ينزجر الإنس تماماً، ولكن ابتعدوا عن الاقتراب من هذه المنطقة، أحاطوا حولها سياجاً إشعاعيًّا منيعاً..

منيعاً؟!.. كلا، لم يكن منيعاً.. ربما كان منيعاً للبشر، لكنه لم يكن منيعاً للجن..

نعم، الجن لا يعبرون الجدران ولا الأبواب المغلقة، ولكن هذه القبة زجاجية، وذلك السياج إشعاعي.. هذه الأمور لا تعوق الجن عن العبور خلالها.. إنهم محض طاقة.. ضوء.

قرر الجن عدم التدخل في أمور الإنس، ما دام الإنس قرر عدم التدخل في أمورهم.. استمرَّ الأمر أعواماً، إلى أن جاء يومٌ راود فيه الملكةَ مرجانة حلمٌ عجيبٌ، مفاده أنها ستتزوج من إنسيٍّ، وستُرزق منه بجنيٍّ يملك بحار الأرض كلها..

مفسرو الأحلام في المملكة أجمعوا أن هذه بشارة طيبة، وأن عليها أن تتزوج من إنسيٍّ بالفعل.

هكذا أرسلت مرجانة جنودها من الجن يتحسسوا في مدينة آفاق، يبحثون لها عن عريس مناسب..

ما هي المقاييس؟ الذكاء والفطنة والوسامة بالطبع.

عند ذلك انتشرت المخلوقات السوداء في مدينة آفاق، وأُصيب البشر بالذعر من جديد، وأرسلوا فريقاً علميًّا يتفقد الركن الأسود، ما الذي يجري هناك..

اقترب الأشاوس من الركن، وحدث عن عبر عدنان السياج الإشعاعي، ودخل وكر الجن.

هنا رأته مرجانة بنفسها، وعرفت من سلوكه في تعامله مع ما حوله أنه يتقِّد ذكاءً.. وكان قرارها أنه الإنسي الذي يصلح بالفعل أن يكون زوجها.

التقت به، عرضت عليه الفكرة، عارض ومانع.. لكن المغريات كانت أكبر من أن يستمر عدنان في رفضها..

‹‹ستغدو أكثر ذكاءً، سنهبك قدرات لا يملكها كثير من بني الإنس، سنترك مدينتك وشأنها ولن نزعجهم، سيُحسب لك الفضل أنك أنقذت مدينتك من الجن، وستكون الأقوى والأذكى والأشهر من بين كل أقرانك في مدينتك››

كانت المغريات كبيرة، لم يستطع عدنان أن يعترض عليها..

‹‹لن تفقد إنسانيتك.. لن تعيش بيننا.. ستكون في مدينة آفاق، وكل ما عليك هو أن تزورني بين حين وآخر.. ما أنت بخاسرٍ شيئاً.. حسبك أن ملكةً للجنّ قد زهت بك››

‹‹لا أستطيع عبور السياج الإشعاعي في كل مرة آتي بها إلى هنا.. هذه المرة أتيت لأنه مصرح لي عبوره بحكم المهمة المُكلَّف بها››

‹‹سنكفيك هذه المشقة.. نحن نتدبر هذه الأمور، وإنَّا لقادرون››

هكذا تزوج عدنان من الجنية مرجانة، التي منحته قدرات كبيرة في جسده، بالإضافة إلى ذكاءٍ أكثر اتقاداً مما يملك.

ثم ما الذي حدث بعد ذلك؟

❋❋❋

‹‹تم الزواج، وحققتِ هدفك.. ثم ما الذي حدث بعد ذلك؟››

تساءل هاشم، فصمتت مرجانة فترة وهي تتطلع إلى أفعاها التي كانت رافعة رأسها، تعبث بلسانها بطريقة متوحشة، قبل أن ترفع عينيها تنظر إلى هاشم وتجيبه:

- ‹‹مضى الأمر على خير ما يرام في بدايته، ثم انتكس حتى ساورني الشك.. بادئ ذي بدء، قَطَفَ عدنان في مجيئه إليَّ.. نظرته فلم يأتِ.. ثم تبيَّن أنه مختفٍ.. خفي وجود عدنان عني فلم أعد أعرف عنه شيئاً.. اختفى بعلي، شِقِّي الآخر.. أنا في مِزامٍ عليه.. ما الذي حلَّ به؟.. أمسيت شقيذة لا أنام، وكلُّ مطعمي لُواسةٌ من الحزن.. ماذا تريد مني أن أفعل وقد شقَّصني شوقي إليه؟.. أرسلت عسسي من الجن إلى مدينتكم، فإذا بهم يعيثون فساداً فيها.. إن لديكم مركزاً علميًّا، منه نُبئتُ عن سفره إلى بلاد الشرق، حيث اختفى.. وبلغني أنه انتقل إلى السماء.. كيف انتقل؟ لا أعلم.. أنتَ كنت رفيقه هناك، وتعلم ما حلَّ به.. أحتاج عونك كي أستعيده من جديد››

ثم اشتعلت عيناها شرراً وهي تنظر إليه، وأردفت بصوت مخيف، زاد الصدى من هوله:

- ‹‹اجلب لي بعلي، أو أُفني مدينتكم بمن فيها››

هزَّ هاشم كتفيه وقال:

- ‹‹لكنني لا أعلم إلى أين ذهب، ولا كيف ذهب.. ثم إننا لا نملك القدرة على السفر عبر الفضاء، نحن في عصرنا هذا بالكاد نتمكن من الوصول إلى القمر وبعض الكواكب القريبة منا››

فحَّت الأفعى وكأنها تغضب لغضب سيدتها، وتزامن فحيحها مع صياح مرجانة:

- ‹‹أنا من سأكفيك رحلة السماء هذه.. فقط عيّن لي أين يمَّم، ودع دابة رحيلك عليَّ››

صمت هاشم برهة مفكِّراً..

الجنية تريد عدنان، ومركز آفاق يريد عدنان كذلك، ما الضير من التعاون في هذا الأمر؟

المشكلة الحقيقية أن هاشم، أو أيَّ أحد من البشر، لا يعلم أين هو عدنان بالضبط!

‹‹أأنتم من أكسب عدنان قدرته في تغيير نبرات صوته؟››

تذكر هاشم موقفاً حصل في جبل فوجي، عندما قلَّد عدنان صوت الإمبراطور كوماتسو، وتمكن من خداع الرجال الآليين..

لم تكن مقدرة طبيعية، فمن أين اكتسبها؟

لم تستوعب مرجانة الرابط بين ما طلبته، وبين سؤال هاشم، لكنها أجابت في حذر:

- ‹‹قطعاً، ما كان ينبغي له استخدام حنجرته بهذه المرونة لولا أن سانيتُ له باب هذه الهِبَة››

عاد هاشم يسأل:

- ‹‹وأين بقية رفاقي؟.. هل هم بخير؟››

أشارت مرجانة بيدها إشارة مبهمة، فعادت أفعاها تفح بصوتها، ثم قالت:

- ‹‹هم بخير.. حالاً ستقرُّ عينك بهم››

ومع نهاية كلامها، ظهر الرفاق فجأة من العدم؛ جعفر وعنادل وسديم..

كانت سديم ترتعد خوفاً، و عنادل متوترة تتلفت حولها، وجعفر غاضب يتطلع إلى المكان الذي ظهر فيه فجأة وهو يصرخ:

- ‹‹أي عبث هذا؟.. أين نحن؟.. ما هذا المكان الحقير الأسود؟››

صرخت سديم فجأة:

- ‹‹القائد؟!››
وهتفت عنادل:
- ‹‹حمداً لله أنك بخير يا هاشم››
أما جعفر فقد لفَّ ذراعه حول هاشم وقال في حزم:
- ‹‹هل مسوا شعرة منك؟.. سأقتلهم إن فعلوا››
هنا ضحكت مرجانة ضحكة غريبة، تردد معها الصدى العجيب بطريقة مفزعة، وقالت:
- ‹‹ها قد اجتمعت الأجَرَّان.. هؤلاء جماعتك، لا حاجة لي بهم.. بدوتَ لي الأمير، ورأيتك زَبْراً، فيك من الحُلُم ما بززتَ به رفاقك؛ وعليه اصطفيتك من بينهم يا هاشم.. لَبِّ لي رغبتي؛ أسرِّحك وأسرِّح لك رفاقك، تعودون إلى مدينتكم بسلام››
لا تدري ما الذي حدث، لكن عنادل شعرت فجأة بالدوار..
‹‹آه!.. رأسي››
التقفتها سديم تسندها في قلق..
‹‹ما بك؟››
هوت عنادل على الأرض وهي ممسكة رأسها بقوة..
‹‹لا أدري.. الأرض تميد بي.. دوار عنيف››
صوَّب جعفر مسدسه إلى مرجانة وهو يصرخ في غضب:
- ‹‹ماذا فعلتم بها؟››
أجابته مرجانة في حيرة:
- ‹‹ما مسسناها بسوء.. لعلها أضعف من أن تحتمل موقفاً كهذا.. سمعتُ عن نسائكم الكثير، وأنهن كالمَكْنِ؛ ينكسرن بسهولة، وأهونُ من أن يحتملن المواقف الصعبة››
ارتخى رأس عنادل، وبدا أنها نامت فجأة، فأسندتها سديم على الأرض، في حين تساءل هاشم:
- ‹‹هذه ليست هيئتكم الحقيقية، أليس كذلك؟››
عادت مرجانة تضحك ضحكتها المفزعة استخفافاً، وقالت:

- ‹‹لو رأيتم صورنا على حقيقتها لحَرَضْتم، أو لصُرِعْتم هلعاً.. مهما بدونا لكم، نحن أشد سواداً من الآنك.. إذا كنتم ترونا وحوشاً، فنحن على حقيقتنا أشد وحشية.. لا تحاولوا حتى أن تحترصوا في تصوُّرِ حقيقتنا››

ثم عادت عيناها تشتعلان غضباً، وقالت في قوة:

- ‹‹علامَ عزمت يا هاشم؟.. هل ستنبئني بمكان عدنان أم لا؟››

هز هاشم كتفيه، وقال:

- ‹‹لو كان الأمر بيدي لساندتكم.. نحن نبحث عنه كما تبحثون.. لكنني حقًّا لا أعرف أين يمكن أن...››

لكنه لم يتم عبارته، فقد ارتفع صراخ سديم فجأة.. التفت هاشم وجعفر إليها، فإذا جسدها معلَّق في الهواء، وهي تلوِّح بذراعيها تستنجد وتصرخ..

هتف جعفر وهو يعيد تصويب مسدسه إلى مرجانة:

- ‹‹أنزلوها، أي أذى يصيب واحداً منا ستتمنون أنكم لم تقابلونا في حياتكم مطلقاً.. ستندمون››

ابتسمت مرجانة وهي تداعب رأس أفعاها وتقول دون أن تنظر إليه:

- ‹‹أنت على علمٍ يا رجل أن سلاحك هذا لن ينجع معنا››

ثم رفعت عينيها الدمويتين تنظر إليه، وتستطرد بصوت يشبه فحيح أفعاها، مع صداه المفزع:

- ‹‹إننا جن››

وارتكزت على حرف النون في كلمة ‹جن›، مما أوحي بالمزيد من القوة لصالحهم.

كان هاشم يشعر بالتوتر وهو يقول:

- ‹‹نحن على استعداد لأن نساعدكم يا مرجانة، لكننا لا نملك

ما تريدين.. الأمر ليس بأيدينا››

ازداد صراخ سديم، وجسدها يتحرك في الهواء من تلقاء نفسه، ويتجه ناحية ركن من أركان المكان، وهي تصرخ في قوة وعنف، وبكاؤها مستمر لا ينقطع..

توقف جسدها هناك، حيث ظهر من تحتها بئر عجيب، سمع الجميع منه صوت زئير مخيف، يصحبه صدى كذلك، ومن البئر رأوا أذرعاً عديدة تشبه أذرع أخطبوط، تنتهي أطرافها بمجموعة من الفكوك ذات الأسنان الحادة المفترسة..

تحدثت مرجانة في هدوء، مع خلفية لصوت صراخ سديم:

- ‹‹هذا وحش من وحوش الجن، حتى الجن أنفسها تهابه.. فقط امتنعوا عن تعاونكم معنا، ولسوف تُساق رفيقتكم إلى الموت وأنتم تنظرون››

توترت عضلات جعفر وهو يتمتم بكلمات غير واضحة، في حين لم يحر هاشم جواباً..

كيف يعد بما لا يستطيع تنفيذه؟

كان الأمر يوحي بالنهاية..

نهاية سديم العاجلة.. ونهاية مدينة آفاق الآجلة..

لا عجب أنَّ عدنان وافق على الزواج من هذه الجنية؛ إنهم يملكون قدرة قاهرة على الإقناع..

على الأقل عدنان كان يملك خياراً آنذاك وقد نفذه، أما الروامح في هذا الموقف، لم تكن في أيديهم أي خيارات.. مطلقاً.

❋❋❋

7. بئر أسود

‹‹إنعام؟!››

لا ضباباً ورديًّا، ولا برقاً ممزوجاً بالرعد في الأحلام.. هذه صديقتها تزورها كعادتها ولا شك..

‹‹هي أنا.. من غيري يأتيك على هذه الهيئة؟››

هو صوتها، لكنها لا تراها..

‹‹ماذا جرى لي؟ كنتُ في الركن الأسود مع الفريق، ثم أصابني الدوار وفقدت وعيي.. ما الذي تحاول الجن فعله بي؟!››

البرق ثانية، والرعد يهدر معه..

‹‹ليسوا هم.. أنا من فعلت ذلك.. أنا من أفقدتك وعيك.. الأمر ضروري، لا وقت للإبطاء.. أنتم في خطر.. ليس التعامل مع هذه المخلوقات بالأمر الهين››

ليتها فقط تخترق حجب الضباب الوردي.. تريد رؤية صديقتها.. اشتاقت إليها كثيراً..

‹‹وكيف تعرفين كل هذا؟.. من أين لك القدرة على الدخول إلى عقلي ومحادثتي؟.. أنت في المستشفى في غيبوبة، كيف يتأتى لك أن تعرفي كل ما يجري، وتحاولين مساعدتنا؟››

كان الأمر محيّراً بالفعل.. لم تستطع عنادل التغلب على فضولها، رغم الموقف الصعب الذي تواجهه ويواجهه رفاقها..

‹‹أرجوك عنادل.. لا وقت لمزيد كلام.. ركزي معي.. الوقت يداهمنا، وأنا لا أستطيع البقاء هنا طويلاً.. استمعي إليَّ››

صمتت برهة، جاهدت عنادل بقوة أن تتغلب على فضولها، فسكتت رغماً عنها تحاول الاستماع إلى صديقتها..

‹‹إنهم لا يملكون القدرة على عبور الأبواب المغلقة››
سكتت..
‹‹ثم؟!››
سألتها عنادل، لكن إنعام لم تقل المزيد..
‹‹لا يعبرون الأبواب المغلقة.. هذا كل شيء››
بدا الغضب على ملامح عنادل..
‹‹الأمر مهمٌّ كما تدَّعين.. ما الذي يمنعك من الإسهاب في الكلام؟.. لماذا الإيجاز في حين يمكنك الكلام مباشرة في الموضوع؟››
بدأ صوت إنعام يخفت شيئاً فشيئاً..
‹‹أنا عاجزة.. إن لبعض المفردات رائحة، وهم يستطيعون شمَّها.. أنا أنتقي مفرداتي.. الأمر ليس بهذه السهولة.. لو عرفوا أنني هنا لمتنا جميعاً››
بُهتت عنادل..
‹‹لا.. لاااا.. ليس هذا منطقيًّا.. أنت في المستشفى، أنَّىٰ لبشريٍّ أن يعبر حدود الزمان والمكان بهذه الطريقة، ويتخاطب عقليًّا على هذا النحو.. لا تذهبي قبل أن تجيبيني.. إنعام، أرجوك.. لا تبتعدي.. توقفي››
كان صوت إنعام بعيداً.. بعيداً جدًّا..
‹‹معك حق.. لا يمكن لبشريٍّ أن يفعل هذا.. أنا لست بشرية.. لست بشرية››
صُدمت عنادل..: ‹‹ماذا؟››
سطع البرق ومعه هزيم الرعد قويًّا، وعلى الرغم من بُعد صوت إنعام، لكن كلماتها استطاعت بطريقة ما أن تصل إلى أسماع عنادل..
‹‹أنا جنية يا عنادل.. جنية، وهؤلاء قومي››
وبدأ الضباب ينقشع رويداً رويداً.

❋❋❋

أطلقت سديم صرختها للمرة الألف وهي في موضعها المخيف.. جسدها في الهواء، وأسفل منها بئر تخرج منها أذرع وحش من دواب الجن؛ أذرع مخيفة ذات فكوك مفترسة..

هاشم يقف متفرّجاً، عاجزاً عن اتخاذ أي ردة فعل، وعقله لا يهدأ في محاولة إيجاد مخرج لهذا المأزق الجهنمي..

أما جعفر فقد كان الأكثر غضباً، وهو يصوّب مسدسه الليزر إلى مرجانة ويهتف:

- ‹‹كفي عن عبثك هذا، وإلاَّ لقيتِ مني ما لا يسرك أبداً.. أنت لا تعرفيني أيتها الجنية الحقيرة››

أطلقت مرجانة ضحكتها المخيفة، الممزوجة بالصدى، وقالت:

- ‹‹بل أعماك غضبك عنَّا أيها الوقح.. أنت تعالج جنًّا، والجن لا يتأثرون بسلاحك هذا، فلا تُعشِّر نعيقك في وجهي كرَّة أخرى››

لكن جعفر تجاهل كلامها، وضغط على زناد مسدسه، و...

هل تعطل المسدس؟ إنه لا يعمل!

عادت مرجانة تضحك من جديد، وصدى ضحكاتها يتردد في المكان المظلم بطريقة مزعجة، ثم التفتت إلى هاشم قائلة:

- ‹‹إلامَ وصلت بقرارك يا رجل؟››

أغمض هاشم عينيه، وبدأ يتمتم بقراءته آية الكرسي..

اكفهرَّ وجه مرجانة في عصبية، وقالت في غضب:

- ‹‹لا تحاول.. أنا لست شيطانة.. الآيات لن تحرقني.. لن تحرقنا››

لكن هاشم استمر في تلاوة الآية، وقرأ بعدها آيات أخرى من

سورة البقرة..
أشاحت مرجانة بوجهها عنه، وأشارت إشارة مبهمة بيدها وقالت:
- ‹‹أنت تعبث.. لن ألتفت إليك.. لن تحرقني تلاوتك››
‹‹لاااااا.. مستحيل!››
في تلك اللحظة نهضت عنادل وهي تطلق صراخها.. قطع هاشم تلاوته، وهب إليها يسألها:
- ‹‹هل أنت بخير؟››
لكن عينيها كانتا زائغتين، وهي تضمُّ ذراعيها إلى صدرها، منكمشة على نفسها وهي ترتجف في برد عجيب.. تطلعت إليه بنظرات خاوية، قبل أن تهمس في ذهول:
- ‹‹إنها جنية››
رفع هاشم رأسه يتطلع إلى مرجانة، التي وقفت حائرة لا تدرك ما يجري، ثم عاد يلتفت إلى عنادل ويسألها:
- ‹‹من تقصدين؟ نحن في وكر الجن أنفسهم››
صرخت عنادل:
- ‹‹أتحدث عن إنعام.. إنها جنية.. إنها منهم››
قالت كلمتها الأخيرة وهي تشير إلى المكان من حولها.. شحذت الكلمةُ انتباه مرجانة، التي التفتت إليهما في فضول تحاول فهم الحوار..
تساءل هاشم:
- ‹‹هل زارتك؟.. ماذا قالت لك؟.. هي لا تزورك عادة إلاَّ وتحمل معها رسالة ما، أليس كذلك؟.. ماذا قالت لك هذه المرة؟››
ما زالت مذهولة، كانت عنادل تتطلع إلى ما حولها في مزيج من الحيرة والرهبة..
أيُعقل أنَّ إنعام، تلك الفتاة الرقيقة، صديقة عمرها، وروحها

الأخرى.. أيُعقل أن تكون من الجن؟!

أي كلام هذا؟

أي منطق، وأي عقل يقبله؟

لمحت مرجانة، فتردد في عقلها كلام إنعام في الحلم: ‹‹أنا عاجزة.. إن لبعض المفردات رائحة، وهم يستطيعون شمَّها.. أنا أنتقي مفرداتي.. الأمر ليس بهذه السهولة.. لو عرفوا أنني هنا لمتنا جميعاً››

يا إلهي!

مرجانة تتنصَّت عليها الآن وهي تتحدث.. يجب أن تكون حذرة.. يجب أن تنتقي كلامها بعناية بدورها، وإلاَّ كشفوا وجود إنعام..

جنية كانت أو لا، ما زالت إنعام صديقتها، ويجب حمايتها.

مستدركة ما هتفت به، قالت عنادل في انفعال:

- ‹‹لقد كان حلماً.. حلمت أننا في قبضة الجن، ولسوف يلتهموننا.. يجب أن نتصرف››

لم يبدُ على مرجانة أنها اقتنعت بتمثيلها، وظلت نظراتها تخترق عنادل بقوة، وتلك الأخيرة ترتجف في توتر، وهي تخفي وجهها بين ذراعيها.. أما هاشم فقد شعر بتوتر الموقف..

هناك ما يجري خلف الكواليس.. ما الذي قالته إنعام لعنادل بالضبط؟!

فجأة، اهتزت ساعته اهتزازة خفيفة، تدل على ورود رسالة نصية إليه عبرها.. رفع ينظر إلى شاشة ساعته، فإذا بها عنادل وهي تخفي وجهها بين ذراعيها قد أرسلت إليه رسال سريعة: ‹‹إنعام تقول أن الجن لا يملكون القدرة على عبور الأبواب المغلقة.. لم تقل المزيد››

كم هي ذكية عنادل، رغم تصرفاتها المريبة!

‹‹لن أنظرك طويلاً يا فتى.. حدد مسارك على عجلٍ، وإلاَّ...››

قالتها مرجانة بهدير غاضب ذي صدى، وهي تشير إلى جسد سديم المعلق، منذرة بالويل والثبور..

قراءة القرآن تنفع، لكن يحتاج الأمر إلى تصرف عاجل، و مرجانة كما تدعي ليست من الشياطين، والقرآن لا يضرها..

ربما القرآن لا يضرها، لكنه يمنعهم بلا شك من أعمالهم الجنيَّة..

همس لعنادل:

ـ ‹‹اقرأي أنت آيات قرآنية تحفظنا، وسنحاول نحن، أنا وجعفر، عمل شيء ما››

بدأت عنادل ترتل القرآن بصوت خافت استفزَّ مرجانة، و هاشم واقف يفكر، في حين صرخ جعفر فجأة:

ـ ‹‹لن أقف ساكناً.. سأنقذك يا عزيزتي سديم››

قالها وقفز بكل قوته نحو جسد سديم العالق في الهواء، ترتجف في ذعر ورعب، وتحتها أذرع البئر ممتدة تحاول إمساكها في شراهة..

هتف هاشم في ضيق:

ـ ‹‹تمهَّل يا جعفر.. هؤلاء جن.. لا يمكننا مقامتهم بهذه البساطة››

لكن جعفر تجاهله تماماً، وهو يقفز متمسكاً بقدم سديم يحاول إنزالها إلى الأرض.. لكن ذراعاً من أذرع الوحش امتدت من البئر، لتحيط بخصره، وتجذبه إلى الداخل..

اختفى جسد جعفر في قاع البئر.. ضحكت مرجانة في تشفٍّ، وارتجفت عنادل وهي تغمض عينيها عن المشهد، مع استمرارها في قراءة القرآن، في حين هتف هاشم في عصبية:

ـ ‹‹هذا يكفي.. سأنفذ ما تطلبين››

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتي مرجانة السوداوتين، وفحَّت أفعاها فحيحاً عجيباً، قبل أن تشير إلى جسد سديم بيديها، الذي ابتعد عن فتحة البئر، ونزلت بسلام إلى الأرض..

قالت مرجانة بصوتها ذي الصدى المزعج:

ـ ‹‹أما الفتاة فسالمة أمامكم، وأما مغواركم الهُمام فلا سبيل إلى إنقاذه.. لقد ألقى بيديه إلى التهلكة››

هتف هاشم في غضب:

ـ ‹‹لا سبيل إلى إتمام الصفقة من دون جعفر.. أعيديه سالماً ولك مني تنفيذ مطلبك››

زوت مرجانة ما بين حاجبيها وصرخت:

ـ ‹‹أنبأتك ألاَّ سبيل إلى عودته.. الموتى لا يعودون من أرماسهم إلى الحياة كرَّة أخرى.. لا طاقة للجن بهذه الدابة الضارية››

هتف هاشم في عناد:

ـ ‹‹هو لم يمت بعد، وأنتم تملكون قدرات عظيمة.. لن تقفي عاجزة عن...››

وقبل أن يتمَّ كلامه، برز فجأة جعفر من فتحة البئر، ملوَّثاً بمادة خضراء لزجة تغطي جسمه، مع بقع من الدماء تغطي كتفه وخاصرته وإحدى ساقيه.. قال في تبرُّم:

ـ ‹‹هذا الحقير.. لقد حذرته، لكنه لم يتوانَ عن التهامي.. لعابه نتن الرائحة، وملمسه قذر››

ابتهج هاشم لمرآه، وسأله:

ـ ‹‹حمداً لله على سلامتك أيها البطل.. كيف تمكنت منه؟››

هز جعفر كتفيه ببساطة وقال:

ـ ‹‹لم يكن الأمر يحتاج إلى مزيد من الجهد.. فمه الكبير مكَّنه من التهامي، وأذرعه ذات الفكوك المفترسة أدمتني، لكنني

كنت أملك خنجراً، مزَّقت أحشاءه وخرجت من جوفه.. هذا كل شيء››

ثم مشى وهو يعرج، واقترب من سديم، ليحيط كتفيها بذراعه ويقول:

- ‹‹لن يمسسك أحد بسوء عزيزتي، ما دمت إلى جوارك››

استكانت في ذراعه بسلام وقالت:

- ‹‹أنت بطلي.. رغم رائحتك النتنة لكنك شجاع فعلاً عزيزي››

أما هاشم فقد التفت إلى مرجانة، وقال في حدَّة:

- ‹‹أهذا هو الوحش الضاري الذي تعجز الجن عن القضاء عليه؟.. لقد تغلب عليه خنجر بسيط››

قالت مرجانة في ضيق:

- ‹‹نعم، إننا لنعجز عنه.. هو ماديٌّ أكثر مما يتوجب عليه أن يكون.. على أنَّ الجن روح، نار أكثر مما هي مادة.. وأما أنتم البشر فطينٌ لازبٌ، ومادتكم تمكِّنكم من التغلب عليه››

عقد هاشم حاجبيه وقال:

- ‹‹نعم، فهمت.. لهذا أنتم تعجزون عن عبور الأبواب المغلقة››

توترت مرجانة وهي تتساءل في غضب، شاركتها أفعاها إياه بفحيحها الغاضب بدوره:

- ‹‹إلامَ ترمي؟!››

انتصبت قامته، ووضع قبضته على صدره وقال:

- ‹‹سأنفذ ما طلبتِ.. سأساعدك في العثور على عدنان، فكما قلت لك، نحن كذلك نبحث عنه››

نظرت إليه في ريب، وقالت من بين أسنانها:

- ‹‹كلام بديع، يحتاج إلى اقترانه بفعلٍ يُرى››

تقدم نحوها بخطوات واثقة، وقال:

- ‹‹نسمي مثل هذه الوعد صفقة.. صافحيني وستكون كلمتي لك وعداً لا أخلفه››

انكمشت سديم في صدر جعفر، وتمتمت في ذهول:

- ‹‹يا إلهي!.. سيصافح جنية››

لكن جعفر احتواها بذراعه أكثر، ولم يجبها.. هو نفسه لا يدري مقصد هاشم مما يفعله، وتابع مشهد صديقه وهو يقترب من مرجانة، يمد لها يمناه ويقول:

- ‹‹سأعينك قدر استطاعتي.. إن عدنان رجل من رجالنا، ويهمنا أمره كما يهمك››

افترَّ ثغر مرجانة عن ابتسامة رضا، وقالت وهي تمد يدها إليه بدورها:

- ‹‹بديع، بديع.. اتفقنا إذن››

اقتربت يده من يدها، لكنه لم يمسس يدها، بل لقد اندفع فجأة، ودفع كتفيها بكل قوته ليسقطها داخل تجويف المحراب الذي خلفها مع أفعاها.. وقبل أن تدرك ما جرى، أسرع هاشم يرفع اللوح الذي كانت تجلس عليه، ويسد فتحة المحراب تماماً، ويحبسها داخله وهو يقول:

- ‹‹قد تكونون أسرع من الضوء ذاته، لكن إدراككم جدًّا بطيء››

صرخت مرجانة من خلف اللوح بصوت مخيف، حمل من الصدى عنفاً لم يسبق لأي منهم أن سمعه من قبل، مصحوباً بفحيح الأفعى:

- ‹‹يا خسيساً أهلكتك يدُ المنون.. أوتظن أنك ناجٍ مني؟.. أنا ملكة الجن هنا.. أنا جنية››

كلمتها الأخيرة صاحبتها نبرة غضب، شعروا بها تخترق جدران المكان.. لكن هاشم لم يستشعر أي دفعات من وراء

اللوح الذي يُسنده بظهره، فقال:
- ‹‹افعلي ما بدا لك.. أنت لا تملكين القدرة على العبور من خلال الأبواب المغلقة››
أطلقت صرخة عنيفة، في حين هتف هاشم:
- ‹‹جعفر.. ساعدني››
أسرع جعفر يلبّي نداء قائده، فاندفع وهو يعرج في مشيته، ليدفع الصخرة التي كانت مرجانة تجلس عليه، فأسند بها اللوح، ليحبس خلفها الجنية.
هتف هاشم في حزم:
- ‹‹لنخرج من هنا الآن.. بسرعة››
تساءلت عنادل في توتر:
- ‹‹لن تظل في سجنها هذا إلى الأبد.. لا شك أن هذا الوكر يضم مجموعة من الجن الآخرين.. عاجلاً أو آجلاً سيأتون.. إن كنا هنا سنهلك تحت أيديهم، وإن استطعنا الهرب فلن يتورعوا أن يقضوا لاحقاً على مدينة آفاق تماماً››
أجابها هاشم:
- ‹‹لقد فعلنا كل ما نستطيعه.. إن قبضوا علينا فإننا هالكون على كل حال، وإن استطعنا الهرب، فسأسعى إلى أن أُعلم مدير مركز آفاق بالخبر، وسنحيط هذا الركن الأسود بمادة صلبة، تمنعهم من العبور منه أو إليه.. هذا مبلغ قدرتنا››
استوعبت عنادل الموقف، فأومأت برأسها موافقة..
أسرع الجميع يركضون، لا يعرفون إلى أين يتجهون..
أين المخرج يا ترى؟!
لكنهم توقفوا فجأة..
فعلى حين غرة، ظهر لهم عند مخرج تلك الغرفة الصخرية قط أسود.. قطٌّ يعرفه هاشم جيداً.. إنه ذات القط الذي كان يترصده منذ أيام..

لم يعد هناك مجال للمكابرة، لقد انتصر الجن عليهم.
تقدم القط الأسود منهم، فتراجعوا في توتر.. تجاوزهم ودخل بكل ثقة وهدوء إلى الغرفة الصخرية..
تطلَّع إلى ما حوله، ثم ـ بطريقة بدت غير منطقية بتاتاً ـ وقف على قدميه..
لأول مرة يرى الفريق، بعيداً عن أفلام الكرتون والأنيمي، قطًّا يقف على قدميه!
وقف القط على قدميه، ثم لم يلبث أن بدأت قامته تطول.. قدماه تشكلتا، ورأسه تبدَّل، وذراعاه تهيأتا على غير شاكلتهما..
إنه يتحول إلى آدمي.. شكله مخيف، أثار الرجفة في قلوب الجميع.
نظر إليهم بصمت، ثم تطلَّع إلى ما حوله، قبل أن تستقر عيناه على اللوح، الذي يغطي المحراب الذي سُجنت خلفه مرجانة..
أشار بيده بصمت، قبل أن ترتجف الجدران ارتجافة حقيقية، وتتحرك الصخرة، متأثرة بقوة دفع خفية، من خلف اللوح الذي سقط، لتخرج من المحراب مرجانة وقد حولها غضبها إلى وحش هادر، تطلَّعت إلى الفريق بوحشية وصرخت:
ـ ‹‹ستندمون.. ستندمون.. ستندمون››
ورفعت ذراعيها لتهتزَّ الجدران بعنف شديد..
في تلك اللحظة شعر الرفاق بقلوبهم تنبض بقوة، وبعقولهم ترتج بعنف..
أطلقوا صرخات ألم لا يُقاوم، وبدأوا يشعرون بالموت..
موت أسود جهنمي، لا فكاك منه.

❋❋❋

‹‹كفى!››

مع هدير الكلمة التي أطلقها الرجل، الذي كان قطًّا قبل لحظات، توقف كل شيء فجأة..

توقفت الجدران عن الارتجاج، توقفت قلوبهم عن النبض بقوة، توقفت رؤوسهم عن الصداع العنيف.. توقف الألم..

توقف الموت نفسه.

حتى مرجانة توقفت عن إطلاق قوتها.. التفتت إلى الرجل المخيف في هلع، قبل أن يترجف جسدها بقوة لم يُرَ لها مثيلٌ من قبل.. ارتجافة بدت كاهتزاز شوكة رنانة ضُربت بعنف لتوها..

تهتز.. لا يدري لماذا ولا كيف، لكن مع المشهد، تذكر هاشم الآية الكريمة: ﴿وألقِ عصاكَ فلمَّا رآها تهتزُّ كأنَّها جَانٌّ ولَّىٰ مُدْبراً﴾.

تمتمت مرجانة بصوت مرتجف:

- ‹‹بـ.. بـ.. بابا دريا؟!››

صوتها كان غريباً، يكاد لا ينتمي إليها، حتى الصدى كان قد اختفى تماماً.. حتى أفعاها نفسها انسلَّت بسرعة تزحف لتختبئ بين الصخور..

‹‹تجاوزتم حدودكم››

قالها الرجل باقتضاب هادئ، ليزداد اهتزاز جسد مرجانة أكثر فأكثر.. الآن تبدو - حرفيًّا - أشبه بما كان يظهر على شاشات التلفاز القديمة حينما تتشوَّه الصورة.

جثت على الأرض راكعة وهي تصيح:

- ‹‹الرحمة بابا دريا.. الرحمة.. لن أكررها.. قسماً لن أفعل››

لكن على الرغم من الهدوء الظاهر في ملامح بابا دريا هذا، إلاَّ أن كلامه يشي بغضب عنيف وهو يقول:

ـ ‹‹سلامة غاضبة››

اتسعت عينا مرجانة مع سماعها لاسم (سلامة)، فازدادت هلعاً حتى كادت مع انتفاض جسدها المتذبذب، أن تتلاشى من شدة الخوف..

‹‹الرحمة بابا دريا.. مستعدة أنا للعقاب، بَيْدَ أنَّ الرحمة مطلوبة.. الرحمة أنت أهل لها مولاي››

رفع بابا دريا ساعديه عالياً وردد في هدوء:

ـ ‹‹سلامة حكمت.. انتهى››

ثم أنزل ساعديه، ومع نزولهما اتسعت عينا مرجانة وهي تصرخ مكررة:

ـ ‹‹الرحمة.. الرحمة.. الرحمة.. الرحـ...››

لكنها لم تُكمل هتافها، فقد تلاشى جسدها، وتلاشى معه صوتها تماماً.

ساد الهدوء بعد ذلك.. لم ينبس أحد الموجودين ببنت شفة.

من بابا دريا هذا؟

التفت بكل هدوء إلى الرفاق وقال:

ـ ‹‹لؤلؤة››

من لؤلؤة هذه التي يناديها؟

الغريب ليس نداؤه، الغريب أن عنادل تقدمت نحوه خطوات، قبل أن تغمغم بصوت هادئ:

ـ ‹‹تحت أمرك مولاي››

هتف هاشم في دهشة:

ـ ‹‹عنادل››

التفتت نحوه عنادل وقالت:

- ‹‹عنادل بخير.. لا تقلق عليها.. أنا لؤلؤة؛ جنيَّة أتلبَّسها الآن››

ارتجفت سديم في ذعر وهي تلتصق أكثر بجعفر الذي وقف لا يكاد يعي ما يجري حوله، في حين بدأت لؤلؤة تتكلم على لسان عنادل:

- ‹‹بدأ الأمر حينما حضر فريق الأشاوس هنا.. عدنان دخل وكر الجن، لكن بقية الفريق بقي في الخارج.. أعترف، لقد أحببتُ عدنان.. أختي مرجانة هي الملكة، فلم أستطع الظفر بعدنان لي، هي من أخذته، في حين خسرت أنا.. لكن حبي له كان أقوى من أن أتركه في رحمة تلك الحقيرة.. هي أختي وأنا أعرفها أكثر من غيري.. شريرة هي، ولستُ آمن على عدنان منها.. لقد كان الحب الذي أكنه له أكبر مما يمكنكم تصوره.. قررت أن أتلبسه لكي أحميه من شرورها.. لكن هذا محال.. إنه مُلك مرجانة، ولسوف تكشف تلبسي لا محالة.. هكذا كان قراري أن أتلبس أحد أفراد فريقه، فاخترت عالم الأحياء عادل.. عن طريق عادل يمكنني حماية عدنان بطريقة لن تلفت انتباه أحد، فعادل يعتز بقائده، ويكنُّ له كل التقدير، على عكس البقية.. هكذا لن أُثير الشكوك حينما يدافع عادل عن عدنان.. تذكرون بالطبع في مهمتكم في جبل فوجي كيف أنَّ عادل قرر التضحية بحياته لإنقاذ عدنان.. لم يكن ذاك عادل في الواقع، بل كانت أنا.. لؤلؤة.. ليتفتت جسد عادل، لكن عدنان حبيبي، لم أكن لأسمح لأحد أن يؤذيه››

صمت الجميع لا يدرون ما يقولون، في حين تابعت لؤلؤة:

- ‹‹الأمر الذي لا تعلموه أن عدنان ومن معه حينما انطلقت أجسادهم إلى الفضاء، كان هذا أقوى مما أحتمل.. أنا أضحِّي بحياتي ذاتها في سبيل أن يبقى عدنان سليماً معافى.. أحبه أكثر مما تتصورون، ولكن انطلاقهم إلى الفضاء أمر لا أقدر عليه..

أنا جنية، ولو أن شهاباً ثاقباً لامسني، لن يكون الموت هيّناً.. أنتم لا تعرفون ما معنى أن يصيب شهابٌ ثاقبٌ جنيًّا.. ليس الأمر هيّناً على الإطلاق.. أبداً››

صمتت برهة، استجمعت فيها نفسها، قبل أن تتابع:

ـ ‹‹لذلك كان حتماً عليَّ أن أخرج من جسد عادل.. وداعاً يا عدنان، لكن لم يكن الأمر سهلاً مطلقاً.. في جبل فوجي الغارق بالماء، جُلت باحثة عن مخرج.. نحن لا نعبر الأبواب المغلقة كما تعلمون، لذلك كان من الضروري أن أجد مخرجاً.. هكذا حينما رأيت جسد صديقتكم إنعام فاقدة الوعي؛ تلبستها.. هاشم وعنادل أنقذا إنعام، وأخرجاها ـ وأنا فيها ـ إلى برّ الأمان.. لكنني لم أخرج من جسد إنعام.. بقيت هناك في جسدها، وأوهمتكم أنها في غيبوبة.. أوهمتها هي نفسها أنها في غيبوبة.. لذلك لم يكتشف أحد أي خلل في مخها.. الحقيقة أنها سليمة تماماً، الخلل كان وهماً صنعته أنا.. كنت أريد مراقبة ما يجري حولي، وكنت أعلم أن مرجانة ستبحث عن عدنان.. هكذا استنتجت أنكم ستقومون بالمهمة، وهكذا قررت خلق تواصل بين إنعام وعنادل.. تواصلاً روحيًّا لن تستوعبوه.. أنا حذرة جدًّا.. حتى الجرح الذي في رأس إنعام أنا من صنعه.. خفت أنكم إذا لم تجدوا خللاً في مخها أن تشتبهوا أنها ملبوسة بجنيٍّ، فتستدعون من يُخرجني من جسدها.. أما الجرح في رأسها فسيشتتكم، وسيجعلكم تبحثون عن سبب عضوي.. حذرة أنا؛ ولذلك لم أتلبس عنادل، بل كنت أوهمها بالتواصل روحيًّا مع إنعام.. تلبستها مؤخراً فقط، وذلك لكي أضمن أن أخرج معكم من هنا.. كنت أثق بكم أنكم ستتمكنون من الخروج››

صمتت لؤلؤة..

صمتت بعد أن ألقت كلاماً من الصعب استيعابه..

لكنه يفسر كل شيء.. يفسر كل شيء لدرجة أعجزت الجميع من أن يتفوه بكلمة واحدة..

أشار بابا دريا إلى عنادل بيده، واستحثها قائلاً باقتضاب:

- ‹‹هيا››

أومأت برأسها، وقالت:

- ‹‹أمرك مولاي››

هتف هاشم:

- ‹‹مهلاً.. لكنك حذرتنا من القط الأسود.. ما معنى ذلك؟!››

أجابته:

- ‹‹حذرتك لكي تنتبه إليه.. كنت أريد لفت انتباهك إليه فقط››

أشار هاشم إلى الرجل المخيف وتساءل:

- ‹‹هذا القط.. أعني هذا الجني.. هو بابا دريا؟››

ابتسمت لؤلؤة بشفتي عنادل وقالت:

- ‹‹هذا هو بابا دريا، لكنه ليس من الجن››

تساءل هاشم:

- ‹‹ما هو إذن؟!››

التفتت لؤلؤة إلى الرجل المخيف، الذي كانت ملامحه هادئة تماماً، وهو يقول:

- ‹‹انتهى الكلام››

ثم أمسك بكتفي عنادل ورجَّها بقوة، مما جعل عنادل تطلق آهة خافتة، وتسقط على الأرض فاقدة الوعي، ومن جسدها خرجت جنيَّة سوداء، تشبه تماماً مرجانة.. ابتعدت عن جسد عنادل وهي تقول بصوت يحمل نفس صدى أختها مرجانة:

- ‹‹عنادل سليمة الآن.. إنعام سليمة الآن.. منطقة الركن الأسود غدت آمنة لكم الآن.. وداعاً››

قالتها وغابت في جسد الرجل المخيف بابا دريا، الذي فرد ذراعيه، قبل أن تغمره هالة سوداء، ما إن اختفت حتى ظهر

جسد بابا دريا من جديد، ولكن هذه المرة كان بلا ساقين ولا قدمين.. بل بذيل سمكة..

غدا أشبه بحوريةِ بحرٍ ذكر.

قال باقتضاب:

- ‹‹هاشم.. ابحث عني.. أريدك››

ومع آخر حروف كلماته، شعر هاشم وجعفر وسديم بصداع عنيف، أعقبها أن سقطوا جميعاً فاقدي الوعي..

وحينما استفاقوا بعد حين، كانوا خارج الركن الأسود.

هل انتهى كل شيء فعلاً؟!

❋❋❋

9. موعدٌ أسود

احتضنت عنادل صديقتها إنعام بكل حرارة، وقبلتها بعنف..
‹‹حمداً لله على سلامتك.. كم اشتقت إليك حبيبتي!››
لا أحد يعرف مقدار اللهفة والحب الذي تكنه عنادل لصديقتها إنعام..
كم اشتاقت إليها فعلاً! كم تمزَّق قلبها وهي تنتظر عودتها سالمة معافاة! كم بكت وذرفت الدموع تبكي غياب صديقتها الموجودة جسداً بلا روح!
مشاعر جياشة كانت تعصف فؤاد عنادل، تنتظر في كل لحظة أن يأتيها خبر استيقاظ صديقتها من غيبوبتها.. وكلما تأخر الخبر، كلما ازداد يقينها أن الأمل يقترب.. لم تيأس قط، ولم تتوانَ عن حلمها أنها ستستيقظ قريباً..
وها هو حلمها قد تحقق، واستيقظت روحها الثانية.
إنعام بدا لها الأمر عجيباً.. بالأمس كانت في رأس تنورة تقاتل مع فريقها بضع إنسالاتٍ آبقة، في أولى مهامها معهم، وكانت تواجه عدوًّا خطيراً اختطفها، فإذا بها تفقد الوعي في كرة الزجاج العجيبة تلك.. حينما استعادت وعيها كانت محبوسة في كهف غريب، ويزورها من حين لآخر مجموعة من الرجال الآليين.. لم يؤذوها، لكنها كانت تصرخ كثيراً، وعبثاً حاولت الهرب أكثر من مرة دون جدوى.. كأنهم انزعجوا منها، فأصبحوا يحقنونها بما يجعلها تنام..
نامت كثيراً، كثيراً.. تستيقظ بين الحين لتنام من جديد.. أخيراً فوجئت بنفسها تستيقظ في المستشفى هنا بين رفاقها الذين يستقبلونها وكأنها غابت عنهم مدة طويلة..

لم تشعر بالوقت، ولم تحس أنها قد غابت إلاَّ يوماً وليلة واحدة فقط، أو ربما يومين..

يحدثونها عن فريق الروامح الذي تنتمي إليه.. أي فريق هذا؟!.. لم تسمع عنه قط!

جلست عنادل تحكي لها كل شيء، و إنعام فاغرة فاها، مشدوهة لا تكاد تصدق ما يقال.

وعلى مسافة ليست بعيدة عنهما، كان الحوار محتدماً بين جعفر وسديم..

‹‹أيها الوقح، من سمح لك أن تضع ذراعك حول كتفي هناك في الركن الأسود؟››

كانت سديم في أَوْجِ غضبها، في حين كان جعفر يبتسم..

‹‹كنتُ أحميك عزيزتي.. كنت أحاول بثَّ الطمأنينة إلى قلبك باحتوائي لك.. أنا يهمني كثيراً أن يكون قلبك في أفضل حالاته، مهما كانت الظروف.. كنت أحاول خلق جو رومانسي ينسيك هول الموقف››

ضربت بحذائها ذي الكعب الطويل الأرض في عصبية وهتفت:

- ‹‹لا يحق لك.. أيًّا كانت مبرراتك، لا يحق لك أبداً أن تضع يدك عليَّ أو تلمسني.. أنا لستُ حبيبتك، ولا أميل إليك.. عليك أن تعاملني برسمية مطلقة منذ الآن، هل فهمت؟››

اقترب منها جعفر وقال:

- ‹‹أنا آسف، أعتذر.. لقد أخطأت حقًّا.. فعلاً ما كان عليَّ أن ألمسك.. هاتي رأسك عزيزتي، أُقبِّلها تعبيراً عن أسفي››

قالها وأمسك كتفيها بيديه، ثم اقترب منها يريد تقبيلها، لولا أن دفعته بقوة وصرخت:

- ‹‹أنت حقير››

هزَّ كتفيه وقال بملامح منكسرة:

- ‹‹لِمَ كل هذه العصبية الآن؟.. هناك حينما ضممتك، استكنتِ إليَّ ، ثم بنفسك قلتِ أنني بطلك، وأنني شجاع.. الآن تغضبين؟.. هذا يؤلمني عزيزتي››

صرخت:

- ‹‹هناك كنت ضعيفة.. كنت على وشك الموت، وأنت أنقذتني.. كانت ردة فعلي طبيعية.. لكنك حقير، استغللت ضعفي النفسي لتحيط ذراعك حول كتفيَّ.. أنت حقير.. حقير.. ثم زدتَ على حقارتك أن ضممتني إليك وأنت برائحة كريهة، وجسمك ملوَّث بلعاب ذلك الوحش.. أي تودد ورومانسية هذه التي تدعيها؟.. لقد كنت قذراً يا رجل››

أجابها في بساطة:

- ‹‹معك حق.. لم يكن هذا التصرف لائقاً أبداً.. لكنني معذور.. إنها المرة الأولى التي أدخل فيها الركن الأسود هذا، ولم أكن أعلم أين هو حمامهم لأستحم.. مضيفتنا مرجانة كانت مشغولة، فلم أستطع أن أسألها عن موقع الحمام.. في المهمة القادمة ذكريني أن أستحم قبل أن أضمك إلى صدري عزيزتي››

ضربته بحقيبة يدها وهتفت:

- ‹‹وقح، وقح.. ثم لا تنطق كلمة ‹عزيزتي› هذه أبداً على لسانك القذر.. إلى متى أظل أنبهك؟››

ضرب جبهته بيده وقال:

- ‹‹نعم، صح.. معك حق.. هذه دائماً أنساها.. أنا آسف من جديد.. ذكريني كذلك في حواراتنا القادمة ألاَّ أكررها يا عزيزتي››

شدَّت شعر رأسها بقوة وهي تصرخ:

- ‹‹اسكت، اسكت.. أنت تجلب لي الصداع.. اغرب عن وجهي.. هيا اغرب››

قالتها وابتعدت عنه، فلحق بها جعفر وهو يناديها:

- ‹‹مهلاً يا عزيزتي.. انتظري.. هناك ثلاثة أشياء لم تلوميني عليهم بعد.. تمهلي، لم ننتهِ من كلامنا بعد.. توقفي يا سديم.. سديم››

لم يسمع هاشم شيئاً من هذا الحوار رغم قربه منهما، فقد كان منشغلاً بنقاشه مع الدكتور فهد مصطفى، مدير مكتب البحوث العلمية..

‹‹ما رأيك سيدي في مسألة تلبُّس الجن بالإنس؟››

أجابه الدكتور فهد قائلاً:

- ‹‹فيما يخص الدين، لا أريد أن أفتي.. لكن سمعت أن هناك علماء يقرون الالتباس، وهناك علماء ينفونه، وأغلبهم يقرونه لما في القرآن والأحاديث من دلائل.. غير أنها دلائل غير قاطعة، وكل عالم يفسر على حدِّ علمه واستيعابه.. أما عن إمكانية حدوث الأمر علميًّا، فهو ممكن، لكن ليس التباساً بالمعنى المعروف، إنما دعنا نقل أنه تحكُّم؛ إذا كانت المصطلحات تهمنا هنا››

دعك هاشم أسنانه بسواكه وقال:

- ‹‹لم أفهم.. هلاَّ فسَّرت لي بإيضاح أكبر››

أشار الدكتور فهد إلى رأسه وقال:

- ‹‹المخ يا بني، على ما نعرفه من تعقيد وما يحويه من ذكاء، لا يفهم إلاَّ لغة واحدة، وهي لغة الكهرباء.. العصبونات ترسل إشارات كهربائية إلى المخ، والمخ يستجيب.. هو لا يعرف الألم ولا الجوع ولا الحزن ولا السعادة، هو فقط يعرف الإشارات الكهربائية، وعلى أساسها يستقبل ويرسل تعليماته.. الأعضاء هي التي تترجم الألم والحزن والرؤى والأصوات.. وحينما نتحدث عن الجن فإننا نتحدث - كما اتفقنا سابقاً - عن مخلوقات عبارة عن طاقة كهرومغناطيسية، والطاقة

الكهرومغناطيسية قادرة على التحدث إلى المخ من حيث لا ينتبه الإنسان نفسه.. هكذا نستطيع أن نفسِّر وسوسة الشياطين التي نعيها دون أن نسمعها، ويمكننا كذلك تفسير الالتباس.. حينما يخاطب الجني مخ إنسان ويخبره، عن طريق إشارات كهربائية، أنه يتألم، هكذا سيشعر الإنسان بالألم.. حينما يخاطب الجني مخ الإنسان ويأمره أن يتشنج أو يُصرع، ليس مخالفاً للعلم ولا للمنطق أن يتشنج عضو من أعضاء جسم الإنسان، أو أن يصاب الإنسان نفسه بالصرع.. هذه الآلية جدًّا منطقية، ويمكن للعلم تقبلها؛ وعليه فأنا أؤمن بالالتباس على هذا النحو››

لم يستوعب هاشم الأمر.. كيف ونبي الله عليه السلام يقول: [أغلقوا أبوابكم، وخمروا آنيتكم، وأوكوا أسقيتكم، وأطفئوا سرجكم، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، ولا يكشف غطاء، ولا يحل وكاء]؟

تساءل هاشم:

- ‹‹لكن الجن لا يعبرون الأبواب المغلقة، فكيف يدخلون جسم الإنسان ليصلوا إلى المخ؟!››

أجابه الدكتور فهد:

- ‹‹الإنسان وعاء أجوف يا فتى.. حينما خلق الله تعالى الإنسان، وقبل أن يُنفخ فيه الروح، أو أن يؤمر الشيطان بالسجود له؛ كان الشيطان يسخر من هذا الجسد الأجوف، فيدخل من فمه ويخرج من دبره، ويستهزئ به.. ليس صعباً على الشيطان والجن دخول أجسادنا.. وفي السنة النبوية أننا إذا تثاءبنا نغلق فمنا؛ لأن الشيطان يدخل إلينا عن طريق التثاؤب.. ثم إن الشيطان - كما قال الرسول الكريم - يجري في الإنسان مجرى الدم.. فإذا كانت هذه حال الشيطان مع الإنسان؛ فإن دخول الجن إلينا ليس صعباً كما يمكنك التصور››

عاد هاشم يتساءل:
- ‹‹والسحر؟!››
قال الدكتور:
- ‹‹السحر وهمٌ وليس حقيقة.. السحر محض خيالات.. ليس السحر كما نتصوره من خرائق للعادات والطبيعة، بل تهيؤات تخلقها الجن في عقولنا عن طريق إشارات المخ الكهربائية التي تحدثنا عنها.. أليس حينما رمى سحرة فرعون عصيهم، قال الله تعالى عنها: ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾؟.. فقد خُيِّل لموسى عليه السلام أنها تسعى.. وكذلك الناس، وصف الله الموقف فقال: ﴿فلمَّا ألقوا سحروا أعين الناس﴾.. سحروا أعين الناس؛ أي لم يحصل الأمر في الواقع، بل الأعين هي التي سُحرت وتخيَّلت أن العصي والحبال تسعى.. فالسحر يا فتى إنما هو وهمٌ، يزرعه الجن فينا، لكن الواقع ليس كما نراه››
أراد هاشم إلقاء سؤال آخر، لولا أن الدكتور فهد نهض فجأة، وهو يقول:
- ‹‹عذراً أيها الشاب، انتهى الوقت.. لدي أعمال كثيرة عليَّ إنجازها في المعمل››
قالها وابتعد مباشرة.. هتف هاشم من ورائه:
- ‹‹غداً سنكمل حديثنا يا سيدي.. جد لي شيئاً من وقتك››
لكن الدكتور فهد لم يبدُ أنه قد سمع كلامه وهو يبتعد..
التفت هاشم ينظر إلى عنادل و إنعام من بعيد، وهما تضحكان مع بعضهما البعض في حب كبير.. فابتسم في سعادة بدوره..
لقد انتهى كل شيء على خير.. كل الغموض تمَّ كشف الغطاء عنه، وعادت إنعام سليمة معافاة بلا أي أثر لغيبوبتها.
ثم نظر إلى يساره، فإذا به يرى سديم تجذب شعر رأسها

كالمجنونة وهي تحادث جعفر، فضحك ملأ فيه من هذا المنظر..
كل شيء على ما يرام في فريقه.
بقي غموض اختفاء عدنان وزميليه، إلى أين انطلقوا يا ترى؟ وهل ما زالوا على قيد الحياة في الفضاء؟!
أمر عجيب أن تنكشف حقيقة عدنان أنه متزوج من جنية؛ لهذا السبب لم يفصح لأحد عن المهمة التي حصلت قبل عامين، ليس سهلاً أن يعيش الإنسان في مجتمعٍ ينظر إليه أنه متزوج بنتاً من بنات الجن..
لقد أخفى عدنان هذه الحقيقة، وقد احترم هاشم هذا الأمر، فأخفاه عن الجميع.. جعفر وعنادل وسديم جاءوا متأخرين، فلم يعرفوا القصة بتمامها..
هم يعرفون أن مرجانة كانت تبحث عن عدنان، ولكن لماذا؟ لا يدركون السبب.. هو لم يخبرهم، ولم يكتبه حتى في تقريره.
لتهنأ يا عدنان أينما كنت، حيًّا أو ميتاً.. إن سرَّك في بئر.
تذكر هاشم فجأة بابا دريا..
هو ليس من الجن كما قالت لؤلؤة، فما هو إذن؟
قبل أن يرحل قال له: ‹‹ابحث عني.. أريدك››
كيف يبحث عنه؟ وفيم يريده هذا المخلوق الأسود ذو الشعر الكثيف؟
إن شكله مخيف، ولا يعلم حتى هذه اللحظة إن كان بابا دريا هذا إلى جانب الخير أم إلى جانب الشر.
حسناً يا بابا دريا.. سنبحث عنك نحن فريق الروامح أينما كنت، وليكن لنا لقاء قريب..
انتظرنا.

تمت

العدد القادم: ‹‹بنات سلامة››

الروامح 4

العدد المقبل

بنات سلامة

الموت لونه أسود..
الشر لونه أسود..
الذنوب لونها سوداء..
نحن هنا نتحدث عن مخلوقات يكمن فيها الموت والشر والذنوب.
مخلوقات ظاهرها أسود، وباطنها أسود،
وما بين الباطن والظاهر سواد في سواد..
إذا واجهناها واجهناها بخوف لونه أسود، وإذا سمعنا أصواتها
فأصواتها لونها أسود، وإذا رأيناها فهي سواد في سواد..
مخلوقات إذا غضبت فغضبها لونه أسود.
هؤلاء قوم خُلقوا من طاقة سوداء، وموجاتهم التذبذبية
موجات ذات ترددات سوداء.
الركن الذي يضمهم ليس ركناً عاديًا،
إنما هو ركن ملعون، لونه أسود.

آلاف الكتب، لكل وقت، ومن أي مكان
e-kutub.com

تم إعادة الرفع بواسطة

مكتبة عسكر

ask2pdf.blogspot.com

نحن لا نقوم بتصوير أو نسخ الكتب
ننشر الكتب الموجودة بالفعل علي الإنترنت
نحترم حقوق الملكية
ولا نمانع حذف رابط أي كتاب
إذا طالب مؤلف أو دار نشره بحذفه